

## الباب الثالث

### الأدوار الاقتصادية والاجتماعية للحرف والصناعات

الفصل الأول: الأدوار الاقتصادية للحرف والصناعات

الفصل الثاني: الأدوار الاجتماعية للحرف والصناعات



انعكست الأنشطة الحرفية والصناعية على الميدانين الاقتصادي والاجتماعي.

فعلى المستوى المالي ساهمت دار السكة في توفير النقود، وجنت الدولة موارد ضريبية من الحرفيين، إضافة إلى استفادة الأوقاف منهم نظير استئجار محلاتهم.

أما على مستوى القطاعات الاقتصادية الأخرى، فكان النشاط التجاري أكثر حظا في الاستفادة من الأعمال الحرفية. حيث عُرضت المصنوعات في الأسواق بفاس، فأقبل عليها التجار الذين سوقوها داخل المدينة وخارجها. كما زود الفلاحون الصناع بالمواد الأولية وبعض الأدوات المصنعة التي يحتاجون إليها.

وعلى المستوى الاجتماعي ساهم النشاط الحرفي في انتظام معظم القائمين به في طوائف خاصة كان لها الأثر الإيجابي في تعاون المنخرطين فيها وتأزرهم، وانعكاس ذلك على أوضاع أسرهم وذويهم وعامة الناس بالمدينة.



## الفصل الأول

### الأدوار الاقتصادية للحرف والصناعات

المبحث الأول: الدور المالي

المبحث الثاني: الدوران الفلاحي والتجاري



أثرت الأعمال الحرفية و الصناعية المنجزة بفاس في النشاط المالي، فكانت عمليات سك النقود أساسية في صرفها للناس كي يعتمدوا عليها في الأداءات المالية التي تربطهم مع مؤسسات الدولة و أفراد المجتمع.

و انعكس النشاط الحرفي بفاس على النشاطين الفلاحي و التجاري، إذ ارتبطت المدينة المذكورة بالبوادي المحيطة بها فتزودت منها بما احتاجته الأعمال الحرفية من مواد أولية و فلاحية، و زودتها بحاجيات سكانها من الأدوات و الآلات و المواد المصنوعة. و كانت التجارة منشطة أساسيا للعلاقات التي ربطت فاس بمحيطها القريب بالآفاق البعيدة، و بذلك كانت أسواق فاس لدى التجار المحليين و الأجانب الذين كانوا يحملون منها كميات و أنواع من المصنوعات و يجلبون إليها ما تحتاجه من مواد و منتجات.

## المبحث الأول

### الدور المالي للحرف والصناعات

تكاملت الحرف المنتسبة للدولة مع التي يديرها الخواص بالمدينة العتيقة في أداء هذا الدور، فقد أفرزت صناعة النقود بدار السكة أعمالاً بفاس الجديد مارستها طائفة اليهود بشكل خاص، وتولت توفير النقود لتداولها في الأسواق، وذلك من خلال امتلاكها لداكين تمارس فيها عمليات الصرف بعد تحصيل النقود من دار السكة.

وكان للسلاطين دوراً أساسياً في صرف النقود، فهم المسؤولون عن صناعة السكة، يدفعون المعادن اللازمة للحصول على كميات نقدية تساعد في تسيير شؤون الدولة.

وبهذا النشاط مثلت النقود المضروبة بفاس وسيلة لإنجاز المعاملات المالية ببلاد المغرب وخارجها، منافسة بذلك باقي العملات المغربية والأجنبية، إلا أن هذا النشاط تأثر بالغش في النقود الذي حرص ملوك الدولة المغربية على محاربته، لكنهم ما لبثوا أن استسلموا للغشاشين في فترات الضعف.

أما الدور المالي للحرف الخاصة فقد تجسد أولاً في المردود الجبائي الذي كان يُدْر على خزينة الدولة موارد مالية، وتجسد ثانياً في الحقوق المالية الأخرى التي كان أرباب الحرف والصناعات يقدمونها لمؤسستي المخزن والأوقاف نظير استغلالهم للمحلات والأماكن التي تعود ملكيتها للمؤسستين المذكورتين.

## المطلب الأول

### نظام الصرف

تدخل بلاد المغرب ضمن الأقاليم المعتدلة (بلدان الحوض المتوسطي) التي ذكر ابن خلدون أن أهلها يتعاملون بالنقدين<sup>(١)</sup>: الدينار والدرهم اللذين كانا يُضْرَبان بدار سكة فاس الجديد.

وقد كان السلطان والصرافون زبونين رئيسيين لدار السكة، يدفع كل طرف منهما معدني الذهب والفضة كي تُضْرَب له نقودا، لكن الصرافين يؤدون الأجر مقابل تلك الخدمة، عكس السلطان المعفى من ذلك باعتباره مسؤولا عن الدولة المملوكة لحتى سك النقود<sup>(٢)</sup>.

فالنقود التي تُضْرَب للسلطان فكانت تُشْحَن بمخازنه التي وصفها ابن الخطيب بأنها «محمولات الأقتاب»<sup>(٣)</sup>، تدفع منها ومن الأموال التي تجمع من مصادر أخرى مصاريف ونفقات الدولة المتعددة كرواتب الموظفين والمستأجرين والجنود، وتؤسس بها المباني، وتدعم بها الأوقاف، وتصرف منها الجرايات والصدقات...

أما النقود التي سَكَّها الصرافون فتوجه إلى دكاكينهم قصد مبادلتها مع ما يمتلكه الناس من ذهب أو فضة أو نقود، وقد وُكِّلت لليهود عمليات تصريف الفلوس -على حدِّ تعبير الحكيم المديوني- بالدرهم والدرهم بالفلوس بالمدينة في عهد أبي يوسف يعقوب بعد إخراجهم من القيصرية وعزلهم عن الحرف التي

(١) ابن خلدون: المقدمة، ص: ٨٢.

(٢) الحكيم: الدوحة المشبكة في ضوابط دارا لسكة، ص ص: ٩٤-٩٦.

(٣) ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص: ١٧٦.

أُتهموا بممارسة الغش مع المتعاملين معهم من المسلمين<sup>(١)</sup>. ومهمة الصرف هاته تبدو بسيطة ومحصورة تتلخص في مبادلة النقود ولا تتعداها إلى مبادلتها بالذهب والفضة، ويُعزى ذلك إلى تجنّب الغش والتدليس المتّهمين به. إلا أن ممارسة اليهود للصرف سوف تتطور بعد ذلك خاصة بعد انتقالهم إلى فاس الجديد في جوار السلطان وقربهم منه ومن دار السكة، حيث سمح لهم بممارسة حرف منها الصرف والقبض والصياغة، حيث كانت محلاتهم توجد قريبا من دار السكة مجاورة لمحلات الصياغة<sup>(٢)</sup>، التزموا فيها بمبادلة النقود بالنقود أو بوزنها مقابل ذهب أو فضة وهو ما يسمّى بالمراطة، كما مُنعوا من إنجاز عمليات الصرف بـ«النظرة» و«الخيار» و«المشورة» و«الحوالة»، ومُنعوا أيضا أن يستبدلوا رديء النقود بجيّدتها وذلك بهدف تجنّب الغش والربا، إذ يعتبر الصرف من أضييق أبواب الربا، ولذلك كان المشروطُ في إنجاز الصرف الأداء فوراً وفي عين المكان دون رد إلا بالشروط التي حددها الفقهاء<sup>(٣)</sup>.

لقد حرص المخزن على حماية عمليات الصرف من مظاهر الغش والتدليس لما في ذلك من ضرر على المجتمع والدولة، مما استوجب طواف ناظر السكة على الصرافين لمراقبة ما لديهم من نقود جاهزة للصرف وتبيان خلوّها من طوابع خارجية<sup>(٤)</sup>، وهو مؤشر على اتهامهم بتزوير النقود بتقليد صنعها في محلاتهم، علما أنهم كانوا على علم بتلك التقنيات نظرا للممارسة بعضهم للصياغة وتعاملهم مع دار السكة.

(١) مجهول: ذكر قصة المهاجرين المسمون اليوم بالبلدين، نسخة من مخطوط في مجموع، ص: ٤٣٥.

(٢) مارمول: إفريقيا، ج ٢، ص: ١٥٧.

(٣) الحكيم: الدوحة المشتبكة، ص ص: ١١٩-١٢٠.

(٤) نفسه، ص: ٧٣.

وقد كانت أعمال الغش والتدليس التي ثبتت في حق الصرافين اليهود سببا في عزلمهم عن الصرف والصياغة والقبض المتهمين فيها، بظهير من أبي الحسن المريني سنة ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م، لكنهم سيعودون لممارسة الحرف ذاتها في عهد أبي عنان عام ٧٥٦هـ / ١٣٥٦م بعد أن التزموا له بعدم الغش والتدليس، ثم ما لبثوا أن عاودوا الكرة مرّة أخرى فتمّ عزلمهم عن تلك الحرف في عهد أبي فارس عبد العزيز المريني<sup>(١)</sup>. وقد سمحت لليهود الظروف العامة التي عرفتها نهاية دولة بني مرين وفترة بني وطاس بعدهم بالعودة إلى ممارسة مهنة صرف النقود بفاس الجديد.

وإذا كان اليهود قد تمكنوا من الاحتفاظ بحق صرف النقود في معظم الفترات، فإن الغموض يلفّ الفترات الطويلة المتقطعة التي كانوا معزولين فيها عن ذلك، والراجح أن أعمال الصرف قد أُنيطت في تلك الفترات بدار السكة مادامت هذه المؤسسة قد استغلت المداخل التي تحصلها في ضرب نقود للصرف، حيث سمي المال الموفر لديها بـ«الفايد» الذي كان بعض السلاطين ينمونونه عندما يبدو لهم تناقصه، وهو الإجراء الذي قام به السلطان أبي الحسن، حتى تستمر دار السكة في أداء الوظائف المنوطة بها. لذلك فدار السكة كانت مؤهلة لتعويض اليهود في صرف النقود أثناء منعهم عنها، حتى في الأوقات التي تراجعت فيها عن نظام العمل بالفايد<sup>(٢)</sup>. مادامت الضرورة تستدعي طرفا يقوم بوظيفة الصرف.

وسواء كان الصرافون من اليهود أو من المسلمين، أفرادا أو مؤسسات، ورغم ما شاب عمليات الصرف من غش وتدليس، فإن مهمتهم ضمنت توفير النقود للمحتاجين لها، سواء كانوا تجارا أو غيرهم ومكنتهم من إنجاز أعمالهم. إذ كانت

(١) السلامي، رشيد: وثائق مرينية، ج ٢، ص: ١٤٠؛ الحكيم: المصدر السابق، ص: ١٣٧.

(٢) الحكيم: المصدر السابق، ص ص: ٩٤-٩٦.

النقود الرائجة بأسواق فاس وغيرها متنوعة ومتعددة القيم والأثمان موجهة للأسواق قصد التعامل بها. وقد شكّل الدينار الذهبي والدرهم الفضي نقدين أساسيين في المعاملات المالية ليس داخل المدينة فحسب بل خارجها أيضا<sup>(١)</sup>، إذ مثلا العملة التي كانت تضربها دور السكة المغربية، نافست العملات الخارجية. فقد كانت مدينة فاس مصدرا أساسيا للعملة النقدية<sup>(٢)</sup>، اعتبرت وسيلة للحصول على البضائع من بلاد السودان وفي مقدمتها الذهب<sup>(٣)</sup>، كما شاع التبادل مع المسيحيين الإيبيريين بالدينار الذهبي الذين كانت تضرب لديهم عملة ذهبية موافقة له نعتت أيضا بالدينار<sup>(٤)</sup>، فضلا عن التبادل مع البلدان الإسلامية للاشتراك معها في أصل ضرب الدينار والدرهم.

وحرص ملوك الدولة في الفترتين المرينية والوطاسية على حماية العملة المضروبة لديهم باشتراطهم على الدول التي تتعامل معهم ضرب نقود تتوافق قيمها مع التي تضرب محليا<sup>(٥)</sup>. مما كان يمهد لتيسير مبادلة البضائع والنقود سواء كانت هاته الأخيرة محلية أو أجنبية. وهذا ما يلمس من حديث الوزان في كتابه «وصف إفريقيا» ، الذي ألفه بإيطاليا ، عن الأسعار والأجور التي كانت تتم وتحدد بفاس ذكر قيمها الإيطالية مثل كارينو وبايتشو وكواطرينية<sup>(٦)</sup>، مما يعبر عن إمكانية حصول تكافؤ

(١) بنعبد الله: معطيات الحضارة المغربية، ج ٢، ص: ٨٩؛ Dufourcq: L'Espagne catalane et le maghreb, P: 170.

(٢) العلوي: عبد العزيز: فاس والتجارة الصحراوية، مجلة فاس وإفريقيا، سلسلة ندوات ومحاضرات. ٣، ١٩٩٦، ص: ٩٠.

(٣) - بوفيل: تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، ، تنقيح : روبن هالبت، ترجمه إلى العربية : الهادي أبو لقمة وعمد عزيز، منشورات جامعة فارينوس، بنغازي، ١٩٨٨، ص: ٢٥٢.

(٤) Dufourcq : L'Espagne Catalane, P: 68.

(٥) المتوني: ورقات عن حضارة المرينيين، ص: ١٣٦.

(٦) الوزان: وصف إفريقيا، ص ص: ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩-١٩١.

العملات المحلية والأجنبية من حيث القيم. ولم يكن الحرص المتحدث عنه مرغوبا فيه من ملوك المغرب فقط، بل من الملوك الأجانب أيضا مادام الهدف الأسمى هو ممارسة التجارة البعيدة المدى خاصة لدى بلدان متوسطة تجارية مثل المغرب وإيطاليا.

## المطلب الثاني

### الأداء الجبائي

استفادت الدولة المغربية من الحرف والصناعات التي كانت تنجز بمدينة فاس مالياً، عن طريق استخلاص الضرائب مقابل الخدمات التي كانت توفرها لها. وكان ملوك الدولة يلجؤون إلى تنويع وزيادة قيم الضرائب عندما تضعف أحوالهم وتقل الموارد لديهم. وفي مقابل ذلك كان المجتمع في شخص علمائه وفقهائه يبحث على فرض الضرائب غير الشرعية، مما كان يؤدي إلى إلغائها في عهدي أبي سعيد عثمان وأبي الحسن علي المرينيين<sup>(١)</sup>.

وقد شهدت الدولة منذ نهاية فترة بني مرين تراجعاً في مداخيل الضرائب وطريقة جبايتها، إذ ضعف مردودها نتيجة تفويت الدولة ممتلكات هامة للخوادم، وعدم قدرتها على استخلاص بعض أنواع الضرائب مثل الجزية من أهل الذمة، بل أصبح الجهاز الذي يستخلص الضرائب غير تابع للدولة يقدم بموجبه مال معلوم للدولة مقابل الحصول على حقوق الجباية، مما يعد مؤشراً على التعسف الذي تعرض له الحرفيون وغيرهم عند دفع الضرائب المستحقة عليهم.

#### ١- الضرائب الشرعية:

يتكون هذا النوع من الضرائب من الزكاة والأعشار والجزية، لكن الأخيرة تعد الأهم من حيث المبلغ المالي المدفوع بموجبها مادام الأمر يتعلق بالحرف في حين أن النوعين الأولين ساهمت فيهما مداخيل الحرفيين والصناعات بنسبة أقل مقارنة مع

(١) ابن مرزوق: المسند الصحيح، ص: ١١٩، ٢٨٣، السلامي وثائق مرينية، ج ٢، ص: ٣٥١.

القطاعين الفلاحي والتجاري. علما أن الأعمار لا تشمل الحرفيين بل التجار والفلاحين.

### - الجزية:

لقد أدى اليهود مقابل ممارسة أعمالهم الصناعية والتجارية مبلغا ماليا هاما عند نقلهم للملاح بفاس الجديد وصل ثلاثون ألف دينار ذهبي كل سنة، وهو المبلغ الذي أدوه أيضا منذ استقرارهم بالمدينة العتيقة بين أغلان وحصن سعدون في العصر الإدريسي<sup>(١)</sup>. والمبلغ المدفوع يعبر عن أهمية الأنشطة التي كانوا يمارسونها وما كانت تدره من مداخيل أدوا منها ضريبة الجزية بشكل منتظم ومستمر لعهد طويل. وقد كان العامل المكلف بتسيير شؤون طائفة اليهود هو الذي يشرف على جمع مبلغ الجزية من أفراد الطائفة ويسلمه إلى الملك على رأس كل سنة<sup>(٢)</sup>. وهذا دليل على أن هذه الضريبة كانت تؤدي بشكل جماعي، لكن هناك من ذكر أن هذه الضريبة قبل أن تؤدي جماعية كانت فردية لكن هذا الطرح يعد مستبعدا، بحكم النظام الخاص الذي يميز طائفة اليهود، والصعوبات التي تطرح عند أداء كل شخص منهم الجزية.

لقد مكنت مداخيل الدولة من الجزية من تمويل مشاريع بناء المعالم العمرانية الدينية والعلمية، كما ساهمت في أداء أجور المرتبين لدى الأقباس من طلبة ومدرسين وأطباء ومرضى وغيرهم.

وبحكم تدهور أوضاع الدولة لم تعد السلطة قادرة على استخلاص مبلغ الجزية -كما يستنتج من بعض الكتابات- إذ أصبح اليهود يتحكمون في دواليب الدولة

(١) مجهول: ذكر قصة المهاجرين المسمون بالبلدين، مخطوط في مجموع، ص: ٤٣٣.

(٢) مارمول: إفريقيا، ج ٢، ص: ١٥٦.

بإصدار قراراتها، والسيطرة على أهم الأنشطة الاقتصادية بالمدينة، فقد تسلموا دار الصناعة بفاس الجديد من الشريف الجوطي<sup>(١)</sup> الذي حكم عقب سقوط دولة بني مرين. وامتلكوا دكاكين القيصارية بالمدينة العتيقة في عهد سلف الجوطي وهو عبد الحق آخر ملوك بني مرين، مقابل تقديمهم هدية سنوية له يحتمل أن تكون معوضة للجزية، وقد أصبحت هذه الهدية تقليدا سنويا لهم ولمن رغب في دفعها معهم من المسلمين الذين كان رفضهم كافيا لإخراجهم من دكاكينهم بالقيصارية<sup>(٢)</sup>.

### - الزكاة:

إذا كانت ضريبة الجزية قد أخذت من أهل الذمة، فإن ضريبة الزكاة تقابلها عند المسلمين سواء كانوا تجارا أو حرفيين، يلتزمون بإخراج ربع العشر على ما يستثمرونه من أموال في أنشطتهم بعد مرور الحول.

وكان سلاطين بني مرين حريصون على استخلاص هذا النوع من الضرائب أيضا بحكم مشروعيتها من ناحية، وأهميته المالية من ناحية أخرى. لذا عينوا هيئة تشرف على جباية الزكاة تتكون من عاملها ومرافقين له ضمنهم فقهاء. فقد ذكر أن أبا الحسن المريني خاطب الإمام أبي فارس القوري في الخروج مع عامل الزكاة لكنه رفض مما أثار غضب السلطان<sup>(٣)</sup>. وكانت الأنشطة الحرفية بحجم رؤوس أموالها تستدعي دفع مبالغ الزكاة المترتبة عنها من قبل المحترفين بتلك الأنشطة، إلا أن المبالغ المحصلة منها كانت ضعيفة مقارنة مع التي يدفعها التجار، بحكم قلة رؤوس الأموال المستثمرة لديهم، إذا تم استثناء بعض الحرف التي كان أربابها يمارسون

(١) نفسه، ص: ١٥٧.

(٢) مجهول: ذكر المهاجرين المسمون بالبلدين، ص: ٤٣٦.

(٣) ابن مرزوق: المسند الصحيح، ص:

الصناعة والتجارة في آن واحد. وقد مال ملوك الدولة إلى ترك دفع الزكاة من طرف الحرفيين والتجار بالمدينة حراً دون إجبار<sup>(١)</sup>، نظراً لتورع وتدين معظمهم، ودور الفقهاء والخطباء والمحتسب وغيرهم في حثهم على دفع حقوق الله المترتبة عليهم، كما أن انتظام الحرفيين في طوائف وتروؤس الأمانء لها كان أداة مناسبة لتسريع صرف مبالغ الزكاة.

## ٢- المكوس:

هي ضرائب غير شرعية فرضها السلطان على التجار والحرفيين بأسواق المدينة وأبوابها. وقد أدى الحرفيون أنواعاً من المكوس استخلصتها الدولة منهم سواء عند قيامهم بأعمالهم أو عند بيعهم لما يصنعونه من منتجات، كما كانوا يؤدون المكوس بشكل غير مباشر نظير إدخالهم للمواد الأولية إلى المدينة.

## - مكوس التصنيع:

تمت تأدية هذا النوع من الضرائب بدار السكة التي مثلت استثناءً إذ تعد النشاط الوحيد الذي تقوم به الدولة يؤدي نظيره مقابل من المال، وبعض الأنشطة الأخرى التي مارسها أرباب الحرف والصناعات.

## • ضريبة السك:

أورد الحكيم المديوني في دوحته أن الصرافين الذين كانوا يدفعون المعادن كي تضرب لهم نقوداً أدوا مقابل ذلك ضرائب استثمرت خلال مرحلة معينة في ضرب

(١) أباضة دسوقي، إبراهيم: النظام الضريبي المغربي بين الماضي والحاضر، المناهل، ع٢، ١٩٧٥، ص:

تقود للصرف من طرف دار السكة، ثم بذلت أجورا للعاملين بدار السكة بعد ذلك<sup>(١)</sup>. ولعل الدولة هي التي كانت تتكلف بصرف أجور العاملين في المرحلة الأولى ثم تخلت عن ذلك بحكم كثرة النفقات وتطور أوضاع وظروف الحكم.

#### • مكس الطحن:

كان أرباب مطاحن الزروع بالمدينة العتيقة ملزمون بأداء هذه الضريبة للدولة، وذلك بحجة ملكية الماء التي ترجع إليها، حيث كانت الأرحاء تدور بمياه الوديان المخترقة لفاس مما يمكن من طحن القمح والحبوب الأخرى للزبناء. وقد كان الملك يأخذ نصف ريال عن كل كيل يطحن بفاس العتيقة، في حين كانت مطاحن فاس الجديد غير ملزمة بأداء هذه الضريبة اعتبارا لعود ملكيتها إلى السلطان، وطحن حبوبه وحبوب حاشيته بها<sup>(٢)</sup>.

#### • مكس الدبغ:

كان الدباغون الذين اجتمعت معاملهم حول مجاري المياه داخل المدينة العتيقة وخاصة في أسفل مجرى الوادي الفاصل بين العدوتين، يدفعون ضريبة درهم عن كل جلدة دبغت، مما كان يوفر دخلا مهما للدولة منها قدر بألف مثقال نظرا للكم الهائل من الجلود المدبوغة الذي قدر بـ ١٢٠ ألف جلدة، ولم يشر الوزان الذي وردت عنده هذه الأرقام شيئا عن المدة الزمنية<sup>(٣)</sup>.

(١) الحكيم: الدوحة المشتبكة، ص: ٩٤-٩٦.

(٢) مارمول: إفريقيا، ج ٢، ص: ١٤٨.

(٣) الوزان: وصف إفريقيا، ج ١، ص: ٢٠٤.

## • مكس الذبح:

أدى الجزائريون مقابل ذبح رؤوس الماشية بالمجزرة رسوما، فكانوا يدفعون ريبالا عن كل خروف يذبح هناك<sup>(١)</sup>، ورغم أن أنواع المواشي الأخرى لم يذكر عنها شيء فإن ضريبة ذبح الماعز مساوية أو تقل عن التي كانت تدفع عن الأغنام، في حين ترتفع ضريبة ذبح الأبقار.

لم يرد شيء عن الدوافع الذي تحكمت في فرض المكوس على الدباغين وداخل المجزرة، لكن الراجح أن استغلالهم للمياه كان مبررا لجباية الرسوم منهم.

## - مكوس التسويق:

وكان الكثير من الصناع يتولون شراء المواد الأولية التي يحتاجونها، ويبيع ما يصنعونه منها في الأسواق، لذلك التزموا بأداء مكوس مقابل ذلك خاصة عند بيع المصنوعات بالمزاد العلني في الأسواق المهمة كالقيصارية التي سوقت بها الجلود المدبرغة والأحذية المطروزة والأثواب المنسوجة، وقد تكلف الجباة باستخلاص الضرائب عند بيع مثل هذه المصنوعات<sup>(٢)</sup>. وتحمل الصناع أيضا الضرائب المفروضة على المواد التي تُدخل إلى المدينة يتم دفعها للجباة في الأبواب باستثناء بعض المواد المعيشية. وهو ما ساهم في ارتفاع قيمة هذه المواد قبل تصنيعها، فقد وصلت الضريبة

(١) الوزان: وصف إفريقيا، ص: ١٩٦، والريال الذي يدفع على الخروف أورده الوزان بأنه بيوتشان

اللذان يتساويان معه بمقارنته مع ما ورد عند مارمول: إفريقيا، ج ٢، ص: ١٤٨ حول الطحن إذ ذكر

مارمول نصف ريال وكافاه بيوتشي عند الوزان، ص: ٢٢٣.

(٢) الوزان: وصف إفريقيا، ج ١، ص: ١٨٩؛ مارمول: إفريقيا، ج ٢، ص: ١٤٩.

المفروضة على الداخل إلى المدينة مثقالين عن كل مائة مثقال<sup>(١)</sup> أي بنسبة اثنين في المائة (%٢).

كان المردود المالي الذي يحصله المخزن من الحرفيين مهما بالنظر إلى أهمية المواد التي يحتاجونها، ويحولونها إلى مصنوعات، تسوق داخل المدينة وتحمل إلى الآفاق.

### المطلب الثالث: الحقوق المالية الأخرى

يؤدي الحرفيون أقساطا مالية بشكل منتظم للجهات التي كانت تمتلك مرفقا صناعيا أو جزءا منه. وتمثلت هذه الجهات في الدولة والأوقاف والأشخاص، وقد كانت أحيانا الملكية مشتركة بين أكثر من طرف من الأطراف الثلاثة بحكم التطورات التي عرفتها المدينة منذ تأسيسها، حيث تم شراء الأملاك العامة من طرف الأشخاص، وفوت الكثير منها إلى الأوقاف بحكم الورع والتدين الذي تميز به أهل فاس، إذ أوقفوا أملاكهم لصالح المعالم الدينية والعلمية.

وملكية الأراضي التي شيدت عليها مدينة فاس في الأصل تعود للدولة، إذ أن الملوك أقطعوها للناس كي ينشؤوا فوقها المباني<sup>(٢)</sup> التي من ضمنها الدكاكين والمحلات الحرفية، ولذلك اعتبرت جزاء يؤدي المستغلين عليه أجور الكراء للدولة أو الجهة التي اشترته منها. وتنعت المباني التي تمارس بها الأنشطة الحرفية بالجلسة<sup>(٣)</sup> نسبة إلى جلوس الحرفيين بها، وقد تعود ملكيتها لأشخاص سواء كانوا ممارسين

(١) الوزان: المصدر السابق، ص: ١٩٦.

(٢) الجزنائي: جنى زهرة الآس، ص: ٢٦.

(٣) مجهول: ذكر قصة المهاجرين المسمون بالبلدين، ص: ٤٣٦ Massignon:; Enquête sur les

corporations d'artisans et de commerçants 1923-1924, d'après les réponses au questionnaire transmis par circulaire du 15 novembre 1923 sous le timbre de la direction des affaires indiquées et du service des renseignements, 1924, P: 79.

للحرفة أم لا، وللأوقاف التي حبست لفائدتها.

ومورست بعض الحرف في الردود<sup>(١)</sup>، وهي ضفتا وادي فاس والأودية المحيطة بها، تعود ملكيتها لمؤسسة الأوقاف، لذا كان الحرفيون الذين يستغلونها يؤدون مبالغ مالية سنوية لهذه المؤسسة مقابل ذلك.

وعموما كانت أجور الكراء رابطا أساسيا جمع بين الحرفيين وأرباب الأملاك، وأديت معظم وأهم هذه الأجور لمؤسسة الأوقاف وهذه هي أبرز الحالات.

### ١- كراء الردود:

هي مجاري المياه وضافها والتي كانت مصلحتها مضافة إلى الحبس، يقوم الإمام أو الناظر بكرائها للحرفيين الذين يشتغلون فيها لأجل محدد وبمبلغ معلوم متفق عليه. فقد كان القصارون الذين يطبخون الخيط على ضفة وادي فاس، والصيادون الذين يصطادون الحوت من مياهه ومن مياه نهر فاس أيضا، والملاحون الذين يجمعون الملح من وادي مكس على بعد أميال من فاس، يؤدون مبالغ مالية سنوية للمكلفين بالحبس<sup>(٢)</sup>. وجامع القرويين كان هو المستفيد الأكبر من هذه المداخل نظرا لأهميته الدينية والعلمية لدى أهل فاس، وملكته للردود كانت من باب دفع المضرة وجلب المنفعة<sup>(٣)</sup>، والمضرة المدفوعة هي ما قد ينشب من نزاعات حول ملكيات الردود، والمنفعة المجلوبة هي الأموال التي تكترى بها الردود وتصرف في مصلحة عامة.

(١) ورد تعريف الردود بأنها هي أماكن اعوجاج الوادي التي يجتمع فيها الحوت حسب ما جاء عند

الوزاني، المهدي: تحفة أكياس الناس في شرح عمليات فاس، ص: ٣٦٢.

(٢) مجموع أوله شرح منظومة العمل الفاسي، مخطوط بالخزانة العامة تحت رقم ١٤٤٧، ص: ١٤.

(٣) الوزاني، المهدي: المصدر السابق، ص: ٣٦٢-٣٦٣.

## ٢- كراء المطاحن:

رجعت ملكية معظم المطاحن في فاس إلى أحباس الجوامع والمدارس. لذلك كانت تكثرى من المشتغلين بها سواء كانوا يطحنون الحب للزبناء أو يصنعون الدقيق ويبيعونه. وكان مبلغ كرائها مرتفع يصل إلى مثقالين لكل رحى<sup>(١)</sup>، وما دامت كل طاحونة تتوفر على عدد من الأرحية قد يصل خمسة، فإن مبلغ كراء الطاحونة الواحدة يصل إلى عشرة مثاقيل في هذه الحالة ولعل هذا المبلغ كان يستخلص كل شهر من طرف المكلفين بجمع كراء الحبس.

## ٣- كراء الأطرزة:

وُقت كثير من الأطرزة أو دور النسيج على الأحباس. وكان كل طراز يتوفر على العديد من المرات التي تستعمل في النسيج وعادة ما كان صاحب الطراز سواء في شخص فرد أو مؤسسة (الأوقاف) يكثرى أماكن النسيج للنساجين بصفة مشتركة<sup>(٢)</sup>، إذ يتولى النساجون داخل الطراز جمع مبلغ الكراء وتقديمه لقابضه كل شهر.

## ٤- كراء أماكن الخلاقة بالحمامات:

اشتغل الخلاقون داخل الحمامات بأماكن خاصة بهم يؤدون مالا معلوما لأرباب الحمامات مقابل الجلوس فيها. وقد يكون أصحاب الحمامات بدورهم مكثرين لها من الجهة التي تمتلكها، لذلك كان المبلغ المحصل من الخلاقين مساعدا لهم. ولعل هؤلاء -الخلاقين- كانوا يجلسون بقرب مدخل الحمام يملقون رؤوس

(١) الوزان: المصدر السابق، ج ١، ص: ٢٣٣.

(٢) الوزان: المصدر السابق، ج ١، ص: ١٩٣.

المستحمين، وعند نهاية عملهم في المساء يجتمعون ألياًتهم ويتركونها مودعة في الحمام<sup>(١)</sup> إلى أن يبتدىء يوم عمل جديد عندهم.

3

تلك هي أهم المرافق الحرفية التي كانت تذر مردودا ماليا مهما مقابل استغلالها من طرف الحرفيين. وكانت مؤسسة الأوقاف هي أهم طرف استفاد من مداخيل كراء هذه المرافق الكبرى حيث جمعت مداخيل مالية من كراء المحلات والدكاكين الصغرى التي يشتغل بها الحرفيون والتي امتلكت عدد كبيرا منها، مما ساهم في ارتفاع مردود الحبس، إذ وصلت بالنسبة لجامع القرويين فقط عشرة آلاف دينار في بعض السنوات<sup>(٢)</sup>. وكان النظار حريصون على استخلاص أجور الأكرية من الحرفيين وغيرهم، إذ عينوا قباضا لها<sup>(٣)</sup>، يتجولون على رأس كل شهر لجمعها. وجرى العمل بفاس بأن يتكلف القباض بجمع حقوق الحبس المالية ويقدمون ما جمعوه للنظر الذي يضع المال المقبوض في مستودع المال بعد خصم أجرته وأجرة القباض والفراض والشهود ومن بيده الزمام منه<sup>(٤)</sup>.

لقد تأثرت مداخيل الدولة المالية في فترات الضعف، إذ لجأ السلاطين إلى بيع الممتلكات المحبسة بعد كتابة عقود استرجعوا بموجبها الأملاك من الحبس ثم باعوها قصد التغلب على الصعوبات المالية التي كانوا يعانون منها، على أساس استرداد الأحباس لتلك الأموال بعد انفراج الأزمات. وقد حصل ذلك في فترة أبي سالم ابراهيم الذي باع قاعة دار الدبغ بالقلقلين بمبلغ خمسين دينارا من الذهب

(١) نفسه، ص: ٢٣٠.

(٢) Khaneboubi : Les premiers sultans mérinides, P : 126.

(٣) المتوني: ورقات عن حضارة المرينين، ص: ١٢٦.

(٤) الوزاني، المهدي: مصدر سابق، ص: ٣٦.

العين لأحد الأفراد من المدينة<sup>(١)</sup>، كما امتلك اليهود جلسات الدكاكين بالقيصرية وسط المدينة بعد شرائها من الحبس، وامتلكوا أيضا مرافق صناعية تابعة للدولة مثل دار الصناعة<sup>(٢)</sup>.

(١) الونشريسي: المعيار المعرب، ج٧، ص ص: ٢١٤-٢١٥.

(٢) مجهول: ذكر قصة المهاجرين، ص: ٤٣٦؛ مارمول: إفريقيا، ج٢، ص: ١٥٧.

## المبحث الثاني

### الدوران الفلاحي والنجاري

تكاملت الأنشطة الاقتصادية بخدمة بعضها للبعض الآخر، وتميز النشاط الصناعي كذلك بتسلسل فروعه وانعكاس بعضها على البعض الآخر. فالصناعات والحرف المخزنية مكنت من توفير التجهيزات الأساسية للصناعات الخاصة مثلا، إذ وفرت المياه التي كانت أساسية في بعض التخصصات الحرفية، ومدت الطرق والجسور، وبنيت وجددت بواسطتها بعض الأحياء والأسواق، مما أفاد الحرفيين مع غيرهم من التجار والسكان والزوار.

كما انعكست الحرف والصناعات على النشاط الفلاحي الذي تزودت منه بالمواد المحولة إلى مصنوعات كالزروع الذي حول إلى دقيق، والقطن والكتان والحريير التي حولت إلى منسوجات، ومادة القنب التي حولت إلى حبال وشرائط، وشهد النحل الذي صنع منه الشمع، والزيتون الذي عصر زيتا... كما تزود الفلاحون أيضا بحاجياتهم التي صنعت داخل المدينة مثل المحارث والمكايل والسلال والظروف...

وكان تبادل التأثير بين الصناعة والتجارة أكثر بروزا وجلاء، فالتجار اعتبروا وسطاء بين الصناع والفلاحين من جهة، وبينهم وبين غير الفلاحين من جهة أخرى. حيث حملوا المواد التي كانت الحرف والصناعات محتاجة لها سواء من المحيط القريب أو البعيد، كما قاموا بعمليات تسويق المنتوجات المصنعة كذلك، رغم أن الحرفيين كانوا أحيانا يتولون بيع منتوجهم بأنفسهم مثلهم مثل الفلاحين الذين

يتكفون بحمل واقتناء المواد والمتوجات من وإلى المدينة، لكن أعمال هؤلاء تبقى محدودة مقارنة مع أعمال التجار. وما دام الأمر كذلك، وما دام تأثير الصناعات بعضها في بعض قد تم تناوله في ثنايا البابين الأول والثاني، فإن التركيز سيعتمد على تبادل التأثير بين الصناعة والتجارة.

## المطلب الأول

### جلب المواد الفلاحية الأولية

كانت الحركة الصناعية التي تشهدها مدينة فاس في حاجة إلى مواد فلاحية أولية، تحول إلى المدينة من المناطق المتوفرة عليها سواء كانت في المحيط القريب من المدينة، أو في مناطق المغرب الأخرى، أو خارجها. وقد تحمل التجار مسؤولية نقل تلك المواد وإدخالها إلى المدينة وبيعها للمحتاجين إليها.

#### ١- المواد الفلاحية:

اتسم محيط مدينة فاس بتوفره على المواد الفلاحية الجبلية وفي مقدمتها الأخشاب وعلى المتوجات الزراعية إذ «لها (فاس) من المحرث العظيم سقيا وبعلا»<sup>(١)</sup>، مما ساعد كثيرا من سكان عدوة الأندلس بفاس على انتحال «الحراثة والفلاحة»<sup>(٢)</sup>، كما توفرت بمحيط المدينة المواشي التي سهر الفلاحون على تربيتها واستغلالها في إنتاج اللحوم والأصواف والجلود لفائدة الحرفيين والصناع داخل المدينة الذين اهتموا بشراء تلك المواد منهم.

#### - الأخشاب:

استخدم الحرفيون كميات كبيرة من الخشب في تسقيف المباني، وكان خشب الأرز مفضلا في ذلك إذ كان يجلب «من جبال بني يازغة، وهي بنحو الثلاثين ميلا

(١) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص: ٢٣.

(٢) نفسه، ص: ٤٣.

عنها (فاس)، يصل كل يوم منه أحمال كثيرة فلا يعدم فيها بوجه، وقد يعمل العود منه في الموضوع الذي يناله ماء ألف سنة وأزيد لا يعفن ولا يستاس (يُسَوِّس)»<sup>(١)</sup>، ويوضح ذلك أهمية هذا النوع من الخشب المثلثة في طول مدة تعميمه وجودته. لكن المباني الفاسية سُقفت بأنواع أخرى من الخشب المتوفرة مثل الزيتون<sup>(٢)</sup> والعناب... واعتبرت جبال بني بهلول مصدرا رئيسيا لخشب البلوط الذي يحمل إلى فاس<sup>(٣)</sup>، كما نقلت من بلاد الهبط كميات من خشب البقس الذي كان يعتمد في صناعة الأمشاط، وخشب الأبنوس الذي صنعت منه المنابر والصناديق والعلب الخشبية<sup>(٤)</sup>.

### - المتوجات الحيوانية:

استقبلت مدينة فاس من هذه المتوجات رؤوس المواشي، وجلودها وأصوافها. كما سُوقَت بالمدينة نفسها بعض المتوجات الأخرى مثل شهد النحل الذي استعمله الشاعون وحرير دودة القز الذي استعمل في صناعة النسيج، وكانت بلاد السودان مصدرا لمادة حيوانية متميزة تدعى العاج. وبلاد الصحراء مصدرا لجلود لمطية.

### • رؤوس الماشية:

دخلت إلى فاس مختلف أنواعها من أبقار وماعز وأغنام<sup>(٥)</sup>، لكن النوع الأخير لقي إقبالا على استهلاك لحومه مقارنة مع النوعين الآخرين، في حين دخلت كميات

(١) الجزنائي: جنى زهرة الآس، ص: ٣٥، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص: ٣٥.

(٢) لوتورنو: فاس في عصر بني مرين، ص: ١٣٢.

(٣) الجزنائي: المصدر السابق، نفس الصفحة؛ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص: ٣٥.

(٤) الوزان: وصف إفريقيا، ج ١، ص: ١٩١؛ Massignon: Le Maroc dans les premières années du

16ème siècle, P: 85.

Massignon, L: Le Maroc, PP: 84, 95. (٥)

محدودة من رؤوس الجمال لبعد المدينة عن أماكن تربيتها. وكانت المواشي معفاة من أداء الرسوم في الأبواب، وتوجه بعد دخولها إلى المعجزة فتذبح وتسلخ من طرف الجزارين<sup>(١)</sup>، ثم تحمل لحومها إلى دكاكينهم وسط المدينة في حين تحمل الجلود قصد بيعها بالسوق المخصص لذلك. ونقلت إلى مدينة فاس جلود لمطية مصدرها حيوان الضبي - تمت الإشارة إليه سابقا - الذي كان يعيش في المناطق الصحراوية والساحلية<sup>(٢)</sup> وصنعت من هذا النوع من الجلود الدرق والتروس اللمطية بفاس.

### • الأصواف:

ورد عند ابن خلدون أن بلاد المغرب توفرت على مادة الصوف مثلها مثل بلاد المشرق لكثرة البوادي بها<sup>(٣)</sup>. وقد زودت هذه الأخيرة مدينة فاس بحاجياتها من الأصواف، فكانت المناطق الجبلية المحيطة بالمدينة من جهتها الشمالية الغربية غنية بالأصواف التي تعد قطعان الأغنام مصدرها، فضلا عن مناطق أخرى بعيدة من المدينة<sup>(٤)</sup>.

### • شهد النحل:

تم تسويق هذه المادة بأسواق فاس<sup>(٥)</sup>، التي تحتوي على مادة الشمع باعتبارها

(١) L.M: Le Maroc, PP : 228, 232.

(٢) العلوي، عبد العزيز: فاس والتجارة الصحراوية، أشغال ندوة: فاس وإفريقيا، سلسلة ندوات ومحاضرات، ٣، ص: ٩٨.

(٣) ابن خلدون، العبر، ج ١، ص: ٤٣٠.

(٤) Massignon : Le Maroc, PP : 96-97.

(٥) مجموع أوله شرح منظومة العمل الفاسي، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ١٤٤٧ د، ص:

أولية في صنع الشموع ، وهي من المصنوعات التي تفتخر فاس بإنتاجها.

### • الحرير:

شهدت ضواحي مدينة فاس تربية دودة القز في أشجار التوت<sup>(١)</sup>، ودور هذه الدودة تمثل في الحصول على الحرير الطبيعي الذي استعمل في صناعة المنسوجات الفاخرة. وكانت أسواق المدينة أيضا مجالا لبيع أوراق التوت للمهتمين بتربية دودة القز ، حيث نعت أحدها بسوق الورقة<sup>(٢)</sup>. ومثلت الجبال التي تقع إلى الجنوب الغربي من فاس ومنطقة زرهون موردا أساسيا للحرير المستخدم في النسيج داخل الأطرزة الفاسية<sup>(٣)</sup>. إلا أن اعتماد صناعة النسيج على الحرير الطبيعي المحلي لم تحصل إلا ابتداء من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وقبل ذلك كان الحرير يستورد من البلدان الخارجية<sup>(٤)</sup>.

### • العاج:

مصدره أنياب وعظام الفيلة التي توفرت في إفريقيا جنوب الصحراء، تم تحويل كميات منها إلى بلاد المغرب<sup>(٥)</sup>، فاستعملت في صناعات متميزة بفاس، حيث

(١) الطويل، محمد حجاج: دودة القز، معلمة المغرب، م١٢، ص: ٤٠٩٥.

(٢) الديش، عبد الوهاب: فاس المربنية (٦٧٤-٧٥٦هـ/١٢٧٦-١٣٥٨م): المجال والمجتمع وعلاقتها بالدولة، دبلوم الدراسات العليا، إشراف: مولاي هاشم العلوي القاسمي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، ١٤٠٨-١٤٠٩هـ/١٩٨٨-١٩٨٩م، ص: ١٠٣.

(٣) Massignon : Le Maroc, PP : 96-97.

(٤) الطويل: المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٥) العلوي، عبد العزيز: العلاقات التجارية والثقافية بين المغرب المريني وإمبراطورية مالي، مجلة كلية

الآداب وع إيفاس، ع٥، ص: ٦٤.

رصعت بها المنابر والصناديق والعلب.

### - المتوجات الزراعية:

من هذه المتوجات ما هو أساسي في عيش السكان من زرع وزيتون، ومنها ما يستخدم في النسيج كالقطن والكتان، كما تدخل ضمنها مواد ثانوية كالقصب والحلفاء وسعف النخيل وهي مواد توفرت داخل المدينة أو حولها. وعموما كانت المناطق الفلاحية المغربية غنية بهذه المتوجات التي اعتمدت في مجموعة من الحرف والصناعات الفاسية.

#### • الزرع:

مثل الزرع مادة أساسية في عمل المطاحن التي حولته إلى دقيق تغذى منه الناس، وقد كان الحصول على الدقيق يتم أيضا بطحن مواد أخرى كالشعير والذرة. وقد أنتجت المناطق المحيطة بفاس كميات مهمة من الزرع الذي نقل إلى المدينة وبيع في سوق خاص عرف برحبة الزرع التي تموضعت بحي الحفارين<sup>(١)</sup>، داخل عدوة القرويين، ولعل عدوة الأندلس كانت تتوفر هي الأخرى على سوق خاص ببيع الزرع، وكانت مطامير وأهراء الزرع<sup>(٢)</sup> تعد مزودا للسكان بهذه المادة الغذائية في أوقات الأزمات.

#### • الزيتون:

حولت المعاصر جنوب الزيتون إلى زيت، واحتلت هذه المعاصر أماكن قريبة

(١) الكتاني، محمد: سلوة الأنفاس، ص: ١٩٠.

(٢) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ص: ٤١، ٤٠١.

من بابين رئيسيين هما باب الفتوح وباب عجيسة<sup>(١)</sup>. ولذلك فالمناطق القريبة من البابين المذكورين هي المؤهلة لتسويق حبوب الزيتون، فضلا عن الأسواق الموجودة خارج فاس، أما مصادر الزيتون فكانت متنوعة منها القريب من فاس والبعيد عنها.

#### • القطن:

ذكر عند بنعبد الله أن بلاد المغرب كغيرها من البلدان المتوسطة انتشرت فيها زراعة القطن بفضل المهاجرين العرب<sup>(٢)</sup> إليها من المشرق. ولذلك تحولت ضواحي فاس إلى أماكن لإنتاج الكميات اللازمة لصناعة المنسوجات القطنية<sup>(٣)</sup>، وبدورها كانت مناطق تادلا وسلا والعرائش مجالات لزراعة مادة القطن<sup>(٤)</sup>. مما أسهم في مد مناسج مدينة فاس بحاجياتها منها حيث ضمت فاس سوقا خاصا ببيع مادة القطن يعرف بالقطنين توفر على ثلاثين دكانا<sup>(٥)</sup>، لكن مادة القطن جلبت إلى الأسواق أيضا من بلدان خارجية مثل السودان<sup>(٦)</sup>. وكان حي القطنين الحالي مكانا نشيطا في تسويق مادة القطن خلال الفترة المرينية الوطاسية<sup>(٧)</sup>.

#### • الكتان:

زرعت هذه المادة بنفس المناطق التي احتضنت زراعة القطن، فقد كانت المناطق

(١) لوتورنو: فاس قبل الحماية، ج ١، ص: ٩٢؛ فاس في عصر بني مرين، ص: ١٢٨.

(٢) بنعبد الله، عبد العزيز: معطيات الحضارة المغربية، ج ١، ص: ٤٨.

(٣) لوتورنو: فاس في عصر بني مرين، ص: ١٤٩.

(٤) بنعبد الله: المرجع السابق، ج ٢، ص: ٦٨.

(٥) الوزان: وصف إفريقيا، ج ١، ص: ١٨٥؛ مارمول: إفريقيا، ج ٢، ص: ١٥٣.

(٦) بوفيل: تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، ص: ٢٥٢.

(٧) يستتج ذلك مما ورد عند الوزان، المصدر السابق، ج ١، ص: ١٩١.

الموجودة في جنوب وجنوب شرق فاس موطننا لزراعة هذه المادة<sup>(١)</sup>. وأشار ابن الخطيب إلى أن ضواحي مدينة سلا عرفت أيضا هذه الزراعة إذ وصف سلا بأنها «معدن القطن والكتان»<sup>(٢)</sup>. وكان نساجو مدينة فاس في حاجة إلى هذه المادة - الكتان- التي حولها إلى منسوجات تتميز بخشونتها مقارنة مع المصنوعة من القطن.

#### • القنب:

احتضنت زراعتها أيضا ضواحي المدينة، وسوقت مادتها الخام بدكاكين في حي الشراطين، ووجهت مادتها لصناعة الحصر والظروف والحبال والشرايط<sup>(٣)</sup>، وغيرها.

#### • مواد زراعية أخرى:

من بينها الخضر التي استعملت في أعمال الطبخ، والقصب الذي صنعت منه السلال والأقفاص، وسعف الدوم الذي حول إلى حلفاء وصنعت منه القفاف والعقل التي تربط بها الدواب وغيرها، وسعف النخيل الذي صنعت منه الشطاطيب أو المكانس. وكانت حدائق وبساتين فاس ومحيطها مجالا مزودا لفاس من حاجياتها من المواد بما فيها سعف النخيل إذ كانت تغرس أشجاره بغرض جمالي وتزييني.

(١) لوتورنو: فاس قبل الحماية، ج ١، ص: ١٧٢؛ Massignon: Le Maroc, P: 84

(٢) ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص: ١٥٢.

(٣) Massignon: Le Maroc, P: 96؛ لوتورنو: فاس في عصر بني مرين، ص: ١٤٢؛ نفسه: فاس قبل

الحماية، ج ١، ص: ١١٤.

كانت المواد الفلاحية التي تزود الصناعات الفاسية بحاجياتها تنقسم إلى مواد معيشية في مقدمتها التي يتغذى منها السكان، وكمالية أهمها التي تصنع منها مواد منسوجة من الحرير والقطن ومصنوعات خشبية مثل المناير، وقد حُدِّدت أسعار المواد المعيشية الغذائية من لدن المحتسب وهو ما جعل المؤرخين يدونون أسعارها في حين كانت المواد غير الغذائية تخضع للعرض والطلب وترتفع أثمان البيع كلما كانت تلك المواد كالمالية وتنخفض كلما كانت معاشية.

وهذه لائحة لأسعار المواد الغذائية تقدم في الجدولين التاليين:

الأسعار عند تولي يعقوب بن عبد الحق المريني<sup>(١)</sup>

المادة	وحدة البيع	الثلث
القمح	الصفحة الواحدة	٧ دراهم
الشعير	الصفحة الواحدة	٣ درهم
الدقيق الطيب	ربع قنطار	١ درهم
العسل	ثلاثة أرطال	١ درهم
الزيت	أربعة أرطال	١ درهم
السمن	رطل ونصف	١ درهم
لحم البقر	مائة أوقية	١ درهم
الكبش	رأس واحدة	٦ دراهم
الشابل الطري	فرد واحد	١ قيراط
	ثلاثة	١ درهم
الملح	حمل (١٠ أصوع)	١ درهم

(١) ابن أبي زرع: الذخيرة السنية، ص: ٩٤-٩٥؛ نفسه: الأتيس المطرب، ص: ٣٥.

الزبيب	ربع قنطار	١٥ درهم
التمر	سنة أرطال	١ درهم

الأسعار في موسم المجاعة (سنتي ٧٢٤-٧٢٥)<sup>(١)</sup>

المادة	وحدة البيع	الثمن
القمح	الصحفة الواحدة	٩٠ ديناراً
	المد الواحد	١٥ درهماً
الدقيق	أربع أواق	١ درهم
اللحم	خمس أواق	١ درهم
الزيت	أوقيتان	١ درهم
العسل	أوقيتان	١ درهم
السمن	أوقية ونصف	١ درهم

ويلاحظ من خلال الجدولين الفرق الشاسع بين الأسعار المسجلة في السنوات التي تكون الأقوات فيها متوفرة، والتي تكون فيها معدومة نتيجة مجاعة أو قحط أو جفاف أو حروب أو غير ذلك. وقد كان السلاطين يتدخلون للحد من الارتفاع الذي تعرفه الأسعار، إذ أن أبا سعيد عثمان الذي عاصر مجاعة ٧٢٤-٧٢٥ هـ/١٣٢٥-١٣٢٦ م فتح أهراء الزرع فبيع المد بأربعة دراهم<sup>(٢)</sup>، بعدما كان يباع بخمسة عشر درهماً، أي أن سعره انخفض بحوالي ثلاثة أرباع.

(١) نفسه: الأنيس المطرب، ص: ٤٠١.

(٢) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص: ٤٠١.

وإذا تم استثناء فترات الأزمات فإن أسعار المنتوجات الغذائية كانت رخيصة سواء في فترة الحكم المريني أو الوطاسي إذ أشار الوزان الذي عاصر الفترة الأخيرة -الوطاسية- إلى بيع الخضر بأثمان رخيصة<sup>(١)</sup> وهو الأمر الذي سجل أيضا في فترات الحكم المريني. ويدعم ذلك تحدث بعض الرحالة والمؤرخين عن رخص أثمان المواد الغذائية بفاس مقارنة مع مدن ومناطق العالم الإسلامي. فقد جاء عند الحميري في معرض حديثه عن فاس أن «نعمها كثيرة، والحنطة بها رخيصة، وفواكهها كثيرة وخصبها زائد»<sup>(٢)</sup> وذكر ابن بطوطة<sup>(٣)</sup> أن أثمان اللحم والسمن والقطاني والفواكه والخضر رخيصة بفاس مقارنة مع بلاد مصر والشام.

## ٢- المواد الأولية:

مثلتها المواد الخام غير الفلاحية، التي تكونت أساسا من الصخور والأتربة المستغلة في أعمال البناء، والمواد المعدنية المحولة إلى مصنوعات عدة، فضلا عن بعض المواد التي تعد قليلة من حيث الكم والاستعمال مقارنة مع النوعين الأولين.

## - الصخور والأتربة:

تشيدت بها المباني والطرق والشوارع والقناطر وغيرها. ومحيط مدينة فاس تميز باحتوائه على أنواع كثيرة من الأتربة والصخور ساعدت في امتداد وزحف العمران على المجال منذ تأسيس المدينة. لذلك يقول الجزنائي<sup>(٤)</sup> عند وصفه لموقع فاس بأنه «معدن الجبص والصلصال وأنواع الحجارة والرمال وذلك على اختلاف أنواعه

(١) الوزان: وصف إفريقيا، ج ١، ص: ١٨٦.

(٢) الحميري: الروض المعطار، ص: ٤٣٤.

(٣) ابن بطوطة: تحفة النظار، ص: ٦٤٥.

(٤) الجزنائي: جنى زهرة الآس، ص: ٣٥.

متيسر يصرفه الناس في منافعهم».

فالجبص الذي ورد في النص يستخرج مع الجير من صخور الكلس التي اغتنت بها المناطق المحيطة بالأسوار من الجهة الشمالية والشرقية للمدينة. أما الصلصال فوجد بكميات كبرى مع الطين في محيط الأسوار الجنوبية الغربية لها، وهما نوعان من الصخور الهشة استخدمت في صناعة مواد البناء من آجر وزليج وقرميد ومواد الفخار<sup>(١)</sup>. ومن الصخور المعتمدة المستعملة في تسقيف المباني تربة الترس<sup>(٢)</sup> التي تتميز بلونها الداكن المعبر عن الخصوبة، وهي في متناول الناس بالمناطق المائلة إلى الانبساط خارج المدينة، ونقلت إلى فاس أيضا أحمال كثيرة من الرمال<sup>(٣)</sup> كانت تزخر بها ضفاف الأودية مثل وادي فاس وسبو.

وللصخور الصلبة كذلك أهمية في أعمال البناء أيضا، وعادة ما توفرت بالمناطق المرتفعة المحيطة بفاس. ففضلا عن الحجارة التي كانت وجدت بكثرة في محيط المدينة، تنافس الناس في استعمال أنواع من الحجارة التي تتميز بجودتها وقلتها، وفي مقدمتها أحجار الشست ذات اللون الأسود التي استخرجت بجبال الأطلس<sup>(٤)</sup>، وأحجار الرخام الأبيض احتوت عليها مناطق من المغرب أيضا كالأطلس المتوسط وجنوب شرق مراكش<sup>(٥)</sup>، كما جلبت من بلدان خارجية وفي مقدمتها ألمرية<sup>(٦)</sup> الأندلسية.

(١) ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص: ١٧٦، والذي قال عند وصفه لمدينة فاس بأن «طينها هائل»؛

Massignon: Le Maroc, P: 97

(٢) ابن الخطيب: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٣) ابن الأهرم: روضة النسرين، ص ص: ٦٥-٦٦.

(٤) Massignon : Le Maroc, P : 75 (٤)

(٥) نفسه.

(٦) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج ١، ص ص: ٤٥-٤٦؛ ابن الخطيب: المصدر السابق، ص: ١٧٦.

وشهدت أسواق مدينة فاس بيع بعض مواد البناء مثل الجبص والرمل<sup>(١)</sup>، أما أنواع الصخور الأخرى بفعل كثرتها بالمناطق المحيطة بالمدينة جلبها الناس منها بقصد استغلالها في أنشطة حرفية أو غير حرفية، دافعين فقط مصاريف نقلها. ومع ذلك فبعض مجالات استخراج الطين والصلصال والكلس استغلها المالكون للأراضي التي تتوفر بها صخورها، ففتحت بها أورش لصناعة مواد البناء، وكانت بعضها مملوكة من طرف الأوقاف التي احتاجت إليها نظرا لكثرة الأعمال المعمارية التي تنجزها. والمواد الصخرية المذكورة آنفا هي التي استعملت بكثرة لتوفرها عكس أنواع أخرى من الصخور مثل أحجار الرخام المرتفعة أثمانها، لذلك لم تجلب إلا من طرف المخزن أو الأوقاف أو الفئة المسورة من الناس.

#### - المعادن:

تعدد أنواعها، منها ما هو نفيس مثل الذهب والفضة، ومنها ما هو غير نفيس كالنحاس والحديد والرصاص والزنك والقصدير... كما تعددت استعمالاتها فقد صنعت منها السكة وأنواع من الأسلحة، وأنفقت في أغراض تزيينية عدة على الجلود والبنائيات وغيرها. واحتوت مناجم المغرب على أنواع من المعادن في حين جلبت أخرى من بلدان خارجية.

#### • الذهب:

تدعى هذه المادة حين تكون خامة بالتبر، استقدمها التجار بكميات كبرى إلى فاس من بلاد السودان<sup>(٢)</sup>، وكان المغاربة منهم يدفعون مقابل جلبها بعض المواد

(١) ابن الأحر: المصدر السابق، ص: ٦٦.

(٢) العلوي، عبد العزيز: العلاقات التجارية والثقافية بين المغرب المريني وإمبراطورية مالي، مجلة كلية

والمنتجات المغربية مثل الملح والنيحاس والفضة<sup>(١)</sup>. وحرص سلاطين الدولة على تأمين الطرق التي ينقل عبرها الذهب من بلاد السودان إذ كانت مدينة سجلماسة محطة أساسية قبل وصوله إلى فاس<sup>(٢)</sup>، كما كان ينقل أيضا إلى فاس عبر طريق مراكش<sup>(٣)</sup>.

### • الفضة:

كانت مكامن هذا المعدن موجودة ببلاد المغرب وبلدان الشمال الإفريقي، حيث ذكر ابن الخطيب أن معدن الفضة توفر بجبال آسفي<sup>(٤)</sup>، واحتوت عليه مناطق أخرى مثل سوس، تادلا، سجلماسة وتامدولت<sup>(٥)</sup>. لكن كثرة استخراجها من هذه المناطق أدت إلى تراجع كمياته وقتلتها<sup>(٦)</sup>، وهو ما كان يدفع إلى البحث عنه في مناجم جديدة. وما يدل على قلة الكميات المستخرجة من الفضة عدم تلبية كل حاجيات أهل السودان من الأشياء التي كانت تصنع من هذا المعدن مثل الحلي<sup>(٧)</sup> وارتفاع قيمة بيعها التي كانت أحيانا تفوق قيمة بيع الذهب.

الأدب وع إيفاس، ع ٥٤، ص: ٦٢.

(١) نفسه، ص: ٥٩.

(٢) نفسه، ص: ٦٢.

(٣) Dufoureq : L'Espagne catalane, P : 136.

(٤) ابن الخطيب: نفاضة الجراب، ص: ٦٢.

(٥) -الكتيبة، سعاد: البنية الاقتصادية لطوائف يهود المغرب الأقصى في العصر الوسيط، مجلة كلية

الأدب والعلوم الإنسانية، بني ملال، ع ٣، ٢٠٠١، ص: ٥٩؛ El alaoui, Abdelaziz: L'impact social du commerce transsaharien sur le Maroc, le cas des Juifs, revue amal, n 18, 1999, casablanca.

(٦) العلوي، عبد العزيز: العلاقات التجارية والثقافية، مرجع سابق، ص: ٥٩.

(٧) نفسه.

## • النحاس:

كان هذا المعدن متوفرا بكثرة في فاس<sup>(١)</sup>، وقد تم نقله إليها انطلاقا من مجموعة من المناطق المغربية<sup>(٢)</sup>. وكان التجار يضطرون أمام تراجع كمياته إلى التوجه جنوبا للبحث عنه، فقد استخرج من أقاليم وبعض المناطق التي توجد شمال السودان مثل تكدا، إذ أكد ابن بطوطة أن لأهلها (تكدا) دراية في سبك النحاس وتحويله إلى قضبان يتبايعون بها<sup>(٣)</sup>، ولذلك فالنحاس المحمول إلى فاس كان إما مسحوقا أو مسبوكا.

• التوتيا<sup>(٤)</sup>:

تعرف أيضا بالكلامينا<sup>(٥)</sup>، وهي مادة أو أكسيد الزنك، -وتجسد دورها في تحويل لون النحاس من الأحمر إلى الأصفر<sup>(٦)</sup>. ولعل بعض مكامن بلاد السوس استخرجت منها هذه المادة<sup>(٧)</sup> ثم نقلت إلى فاس وغيرها من المدن، كما كانت متوفرة أيضا ببلاد إسبانيا<sup>(٨)</sup>.

(١) ابن بطوطة: تحفة النظار: ص ص: ٦٧٨-٦٧٩.

(٢) العلوي، عبد العزيز: فاس والتجارة الصحراوية، مرجع سابق، ص: ٨٦.

(٣) ابن بطوطة: المصدر السابق، الصفحتان نفسها.

(٤) حافظي، علوي حسن: التوتيا، معلمة المغرب، ص: ٢٦١٦.

(٥) هيل، دونالد: العلوم الهندسية في الحضارة الإسلامية، عالم المعرفة، ع ٣٠٥، ص: ٢٧٠.

(٦) الحريري، عيسى: تاريخ المغرب والأندلس، ص: ٢٨٤.

(٧) حافظي: مرجع سابق، ص: ٢٦١٧.

(٨) هيل: مرجع سابق، الصفحة نفسها.

## • الحديد:

كان خام هذه المادة المعدنية أساسيا في عدة صناعات أهمها صناعة الآلات والأدوات الفلاحية، وصناعة سقط السروج، وتوفر معدن الحديد في مجموعة من المناجم المغربية منها جبل عوام ببلاد فازاز والريف الشرقي والأطلس الكبير والمنطقة الساحلية جنوب وادي تانسيفت<sup>(١)</sup>. وأفاد ابن بطوطة عندما تحدث عن رحلته إلى بلاد السودان عن وجود مادة الحديد بإحدى المناطق التي تقع جنوب الهكار على مفترق الطرق التي تتجه إلى مصر وتوات<sup>(٢)</sup>. كما كانت بلاد أوربا تحتوي بدورها على معدن الحديد، ولذلك كانت مدينة فاس تزود بحاجياتها من هذه المادة وخاصة من المناجم المغربية.

## • المعادن الأخرى:

احتاج الصناع إلى معادن غير التي تم عرضها سابقا، وذلك عند معالجتهم الأولية للمعادن وأثناء أعمال تحويلها إلى مصنوعات. ونظرا لنقص الكميات المحتاجة منها فقد سكتت المصادر عن أماكن استخراجها وطرق تحويلها إلى فاس. إلا أن ذلك لا يمنع من الحصول على بعض الإشارات التي أكدت اعتماد الصناع على معادن الرصاص والقصدير والزنك والكبريت والزرنيق<sup>(٣)</sup>.

ومما سبق نستخلص أن بلاد السودان كانت موطن لمعدن نفيس هو الذهب، الذي أسهم في تنشيط الحركة التجارية والصناعية، إذ استبدلت كميته بأنواع من

(١) العلوي: فاس والتجارة الصحراوية، ص: ٨٧؛ 81 Massignon: Le Maroc, P:

(٢) ابن بطوطة: مصدر سابق، ص: ٦٨٠.

(٣) الحكيم: الدوحة المشتبكة، ص: ٥٤، ٥٥؛ السلامي: وثائق مرينية، ج ٢، ص: ١٤٠.

البضائع المحلية والأجنبية. وأما بلاد المغرب فاحتوت على المعادن الأخرى التي فاقت حاجيات التصنيع بالنسبة لبعض الأنواع مثل النحاس، وسجلت عجزا في تلك الحاجيات بالنسبة للبعض الآخر مثل الفضة، مما كان دافعا لممارسة التجارة البعيدة مع أوروبا ومناطق أخرى قصد الحصول على الكميات والأنواع المعدنية المطلوبة.

### - المواد الأولية الأخرى:

احتاجت الصناعات والحرف الفاسية لأنواع أخرى من المواد الخام بقصد تحويلها إلى مصنوعات منها ما هو نفيس بقيمته كالجواهر، ومنها ما هو شريف باستعماله كالعطور، إضافة إلى مواد أخرى استعملت في أعمال الدبغ. بل إن كثرة الصناعات والتنافس فيها أدى إلى الإقبال على مواد أثارت معارضة الفقهاء لعدم مشروعيتها استعمالها كشعر الخنزير ودم التين.

### • الجواهر:

أقبل عليها الحرفيون المختصون أساسا في صناعة الحلي ومعظمهم من اليهود، وقد استغلوا الجواهر في ترصيع مصنوعات الصياغة الذهبية والفضية، ومنتجات حرفية أخرى، وسوقت بعض أنواع الجواهر دون أن تدمج في التصنيع مع مواد أخرى سواء معدنية أو غير معدنية.

وكانت البيئة المحلية توفر بعض أنواع المجوهرات، في حين تستورد الأنواع النادرة من أوروبا أو بلدان العالم الإسلامي أو بلاد الهند.

فكانت مياه وادي فاس تزخر بجوهر الصدف الحسن<sup>(١)</sup>، ثم استخراج اللؤلؤ والمرجان من سواحل إفريقيا الشمالية ومنها السواحل المغربية ليحولوا إلى مدينة فاس قصد تصنيعها، واغتنت مناطق بلاد المغرب بأنواع من الجواهر الأخرى كالياقوت والعقيق اللذان استعملتا في صناعة الحلي والمجوهرات بفاس.

ووفر التجار الجواهر الأخرى التي انعدمت أو قلت في المغرب، حيث جلبوها من بلدان بعيدة، فكانت بلاد مصر مصدر الجواهر مثل الزمرد والزمردج واللازورد، وحولت من بلاد الهند الأحجار الكريمة والماس والياقوت، وبدورها كانت بلاد الأندلس وأوروبا مصدر تزود ببعض أنواع الجواهر من بينها الودع<sup>(٢)</sup> الذي كان يسوق بكميات كبرى من طرف المغاربة في بلاد السودان لكن يبدو أنه لم يصنع أو كانت أعمال معالجته بسيطة. وهو أمر يبين أن بلاد أوروبا أصبحت مع تقدم فترات القرنين ١٥ و١٦ م تنافس مدينة فاس في تصنيع الجواهر وتسويقها.

#### • العطور:

تدعى أيضا بالطيوب التي استعملت في تطيب أو تعطير البيوت والأشخاص، وفي أغراض طبية إثر دخول بعض أصنافها في صناعة الأدوية وإعداد الوصفات.

وكانت بلاد الهند مصدرا رئيسيا للعطور التي تصدر منها إلى مناطق العالم. كما احتوت بعض مناطق المغرب أنواعا من العطور مثل العنبر الذي توفر ببلاد السوس وبيع بثمان لا يقل عن مثقال للأوقية<sup>(٣)</sup>، أقبل عليه التجار البرتغاليون والفاسيون

(١) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص: ٣٥.

(٢) العلوي، عبد العزيز: علاقة التجارة الصحراوية بالتجارة البحرية في المغرب المريني، كلية الآداب و  
ع، الدار البيضاء، عين الشق، أشغال ندوة، ج٢، ص: ٢٨٣.

(٣) معلمة المغرب، م١٥، ص: ٥١٥٣.

هناك. أما الأنواع الأخرى التي احتاج إليها العطارون بفاس فمنها الند والزباد<sup>(١)</sup> والقرنفل والورد وغيرها كثير.

### • مواد أخرى:

احتاجت الأعمال الحرفية في فاس إلى أنواع أخرى من المواد لم تذكر سابقا، لقلة أهميتها سواء من حيث الحجم أو القيمة، رغم طلبها في صناعات كثيرة ومتنوعة بفاس. حيث احتاج الدباغون في أعمالهم إلى مواد اعتمدت في دبغ الجلود أهمها تكاوت التي جلبت من تافيلالت، وزبل الحمام الذي حمل من محيط وجوار المدينة<sup>(٢)</sup>. وكان الصباغون بدورهم في حاجة إلى الأصباغ التي أعدوها من مواد طبيعية، لكنهم استعملوا أحيانا مواد أثار معارضة الفقهاء مثل الأرشلة التي كانت تعد من البول، وشعر الخنزير، ودم التنين، في حين طلب المشتغلون بحرف وصناعات أخرى مواد مثل الصمغ والشب وغيرها.

وإجمالا، لا يمكن حصر كل المواد التي حولت إلى أرباب الصنائع بفاس، إلا أن الأهم منها تمثل في المواد الفلاحية والمعدنية، والتي كان التجار سواء المحليون أو الأجانب وسطاء في حصول الصناع عليها. وكانت السلطات المحلية بمدينة فاس كنظيراتها بالمدن الأخرى تقنن دخول هذه البضائع بمراقبة عدم إدخال الممنوع منها، وأداء الرسوم على الذي يسمح بولوجه الأبواب، مع إعفاء المواد الغذائية من الرسوم كي لا ترتفع أثمانها على مستهلكيها.

(١) بوفيل: تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، ص: ٢٤٦، وقد أشار إلى استيراد الزباد من بلاد السودان.

(٢) لوتورنو: فاس في عصر بني مرين، ص: ١٤٨.

## المطلب الثاني

### تسويق المنتوج الحرفي

لبت الأنشطة الحرفية بمدينة فاس الحاجيات المحلية والأجنبية من البضائع والسلع التي كانت تصنع بالدكاكين والمحلات، وتقتنى عن طريق بيعها داخل المدينة وحمل كميات وأنواع منها إلى خارجها. فقد سوّق التجار المحليون والأجانب المتزوج الحرفي الفاسي في الآفاق البعيدة، فوصلوا إلى بلاد السودان جنوبا، وأوربا شمالا وبلدان العالم الإسلامي شرقا فضلا عن المدن والمناطق المغربية.

وحرص سلاطين الدولة على ضمان انتعاش النشاط الاقتصادي ومنه والتجاري، فعالجوا الأزمات التي أضرت بالتجارة والحرف داخل المدينة مثل الحرائق والفيضانات، وعقدوا اتفاقيات ومعاهدات تجارية مع الدول الأوربية حددت فيها شروط والتزامات الجانبين المغربي والأوربي، حرصا على المنافسة المتكافئة بينهما لكن التغيرات والمستجدات السياسية كانت تؤثر على سير العلاقات المغربية الأوربية بالشكل الذي أضر في بعض الفترات بالصناعة المغربية ومنها الفاسية، إذ ساهم ضعف الدولة المغربية من جهة وقوة الدول الأوربية من جهة أخرى في إدخال المنتوجات المصنعة الأوربية للأسواق المغربية وغير المغربية، وهو الأمر الذي تفاقم في نهاية العصر المريني وطيلة الفترة الوطاسية.

#### ١- التسويق داخل مدينة فاس:

جمعت مدينة فاس بين النشاطين الصناعي والتجاري، حيث وصف ابن الخطيب نشاط هذه المدينة قائلا بأنها كانت «واسعة التجارة، آخذة من الصناعة

بشيء غير يسير<sup>(١)</sup>. وقد ضم النسيج العمراني لمدينة فاس «أسواق مرتبة منسقة»<sup>(٢)</sup>، تعد تعبيراً عن التنظيم المجالي الذي عرفته المدينة، حيث انتظمت الأسواق الحرفية في الأماكن الموجودة وسط المدينة وعلى الطرقات والشوارع التي يتوافد عليها الناس بكثرة، البعيدة عن الأحياء السكنية وعن الأحياء والمحلات الحرفية أيضاً - التي تخصص في التصنيع والإنتاج بدرجة أولى -.

وتباينت الأسواق التي تباع فيها المتوجات الحرفية من حيث حركتها التجارية، وذلك حسب تنافس الناس في طلبها، ومدى وفرتها، والمواقع التي تعرض فيها. وتولى الحرفيون تسويق منتجاتهم أحيانا عن طريق جمعهم بين العاملين الصناعي والتجاري، خصوصا إذا كانت دكاكينهم تقع على طريق مزدحمة يعبرها سكان المدينة وزائروها، في حين اختص التجار في تسويق أنواع من المتوجات الحرفية الأخرى. ومركز عدوة القرويين أهم الأسواق التي بيعت فيها المتوجات الحرفية المحلية، إضافة إلى المناطق الأخرى من هذه العدوة وعدوة الأندلسيين وفاس الجديدة. لكن حركة البيع بالقسمين الأخيرين كانت ضعيفة مقارنة مع عدوة القرويين. واحتضن المجال الفاصل بين فاس العتيقة والجديدة سوقا أسبوعيا يوم الخميس<sup>(٣)</sup> عرضت فيه بعض منتجات الحرفيين، وهو سوق يلحق بالأسواق المحلية للمدينة رغم امتداده خارجها.

ومارس النشاط التجاري بفاس أشخاص تعدد أصولهم وأعراقهم، تميز منهم اليهود والأندلسيين. فمن بين ما ذكره مارمول عن اليهود أنهم «يخسنون التصرف

(١) بوطالب، عبد الهادي: وزير غرناطة لسان الدين ابن الخطيب، ص: ٨٢.

(٢) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص: ٣٣.

(٣) لوتورنو: فاس قبل الحماية، ج ١، ص: ١٧٧؛ نفسه: فاس في عصر بني مرين، ص: ٥٥.

ويظهرون ذكاء كبيرا في العمليات التجارية<sup>(١)</sup>، حيث اختص عناصر هذه الطائفة في بيع الحلي والمجوهرات التي كانوا يصوغونها، كما أتاحت لهم إمكانياتهم المالية في فترات ضعف الدولة امتلاك معظم دكاكين القيصارية<sup>(٢)</sup> التي تعتبر أهم سوق تجاري بفاس بالنظر لتنوع البضائع التي تعرض فيه وكثرة كمياتها. لكن الغش والتدليس الذي مارسه هؤلاء أدى إلى منعهم من التجارة في المواد التي يمكنهم إلحاق ضرر بالمسلمين فيها، ومع ذلك كانوا حريصين على العودة لممارسة الأنشطة التي منعوا منها بعد الحصول على موافقة السلطان<sup>(٣)</sup>.

أما الأندلسيون فكان بحوزتهم ظهيرا سلطانيا يتيح لهم ممارسة الحرف الفاضلة، ومنها الأنشطة التجارية<sup>(٤)</sup>. لذلك تواجدت عناصرهم بأسواق هامة داخل مدينة فاس مثل القيصارية<sup>(٥)</sup>.

وقد ازداد تردد كل من اليهود وأهل الأندلس على مدينة فاس مع تزايد الزحف المسيحي الأوربي بشبه جزيرة إيبيريا من الشمال نحو الجنوب إلى غاية سقوط غرناطة سنة ١٤٩٢هـ/١٤٩٢م.

وسبقت الإشارة إلى أن القيصارية تعتبر أهم سوق بفاس، وقد أهلها لذلك موقعها المتواجد إلى الغرب من جامع القرويين وإلى الجنوب من سوق العطارين الذي يعد أيضا متميزا بين أسواق فاس. وتتكون القيصارية التي نعنها الوزان بسوق

(١) مارمول: إفريقيا، ج ٢، ص: ١٥٦.

(٢) مجهول: ذكر قصة المهاجرين المسمون بالبلديين، مخطوط، ص: ٤٣٦.

(٣) الحكيم: الدوحة المشبكة، ص ص: ١٣٦-١٣٧.

(٤) الديش: فاس المرينية، ص: ١٨١.

(٥) مارمول: المصدر السابق، ج ٢، ص: ١٤٩.

التجار من خمسة عشر حيا نشطت فيها الحركة التجارية والصناعية، ولها اثنا عشرة بابا وهي محاطة بسور، تمت داخلها عمليات بيع عدة متوجات سواء التي تصنع في أحيائها أو التي تجلب إليها من أحياء أخرى خارجها. وكان البيع يتم في القيصارية بالمزاد العلني، إذ يطوف الدلال بالبضاعة بعد ختمها من طرف المكلف بجباية الضرائب -الذي يقبض أجرا معلوما عن السلع التي تباع هناك-، وقد وصلت ضريبة بيع كل قطعة قماش نصف ريال (بايوتشو)، وعرضت بها الأقمشة والملبوسات والأفرشة والأغطية والجلود والحلي والعمود<sup>(١)</sup>. وبذلك فقد كان لهذا السوق دور في بيع ما يصنع بالقيصارية وبالأحياء والمحلات الحرفية التي لا تتوفر على دكاكين لعرض السلع مثل الأطرزة ودور الدباغة. كما كانت له أيضا أهمية في عرض السلع بكميات كبيرة كل يوم، حيث تنجز عمليات البيع بالدلالة بعد الظهر<sup>(٢)</sup>، وقد توافد التجار المحليون والأجانب على القيصارية الذين فضلوا اقتناء المنتوجات عن طريق شرائها بالمزاد بالنظر إلى التنافس الشديد بين الصناع في جودة مصنوعاتهم واحتكام الأسعار لقاعدة العرض والطلب.

وضمنت عدوة القرويين أسواقا أخرى هامة أبرزها سوق العطارين الذي يمتد من باب المدرسة إلى عقبة الجزارين يقع بين بابين يغلقان ويحرسان في الليل. وتتسلسلت مجموعة من الأسواق على الطريق الغربي الذي يلي سوق العطارين إلى أن تصل إلى باب الشريعة<sup>(٣)</sup>، وأهمية هذا الطريق تمثلت في كثافة مرور الناس المحليين

(١) الوزان: وصف إفريقيا، ج ١، ص: ١٨٩-١٩٠؛ مارمول: المصدر السابق، ج ٢، ص: ص:

١٤٨-١٤٩؛ لوتورنو: فاس في عصر بني مرين، ص: ٤١.

(٢) الوزان: المصدر السابق، ج ١، ص: ١٨٧؛ مارمول: المصدر السابق، ج ٢، ص: ١٤٩.

(٣) الوزان: المصدر السابق، ج ١، ص: ١٨٨، ١٩٠؛ مارمول: المصدر السابق، ج ٢، ص: ١٥٢-

والأجانب الذين يقبلون على ما يحتاجونه من معروضات.

واكتسبت الأزقة الأخرى التي تنطلق من جامع القرويين أهمية أيضا في تسويق المنتوجات الحرفية، إذ يمتد زقاق الشاعين من الباب الغربي للجامع الذي يدعى أيضا باب الشاعين في اتجاه الشراطين. وعلى الواجهة الجنوبية للجامع المذكور تمتد أسواق لبيع الكتب وصناعة وبيع المصنوعات الجلدية، حيث نعت لأسواق بالسيبطين الذي يرجح أن يكون مخصصا في بيع الجلود - مثلها ما هو عليه الأمر حاليا-، وفي الجهة الشرقية للجامع تتواجد ساحة بها محلات خاصة بالصفارين تخصصت في التصنيع أكثر من التسويق، وبالجهة الشمالية تميزت حارة قيس بتوفرها على أسواق حرفية أهمها المشاطون والأبارون وخراطوا الخشب<sup>(١)</sup>، ولذلك كان يحيط جامع القرويين نشيطا في حركته الحرفية والتجارية.

وتنشط الحركة التجارية كذلك بالأسواق التي تتاخم حي العطارين من جهته الشمالية. كما يحتوي حي باب السلسلة على أسواق أطولها الذي يمتد من أعلى قنطرة باب السلسلة إلى مشارف الضريح الإدريسي، ويعتبر الشراطين أهم أسواق هذا الطريق الذي تُعرض فيه منتوجات صناعية أخرى، وتتوفر بحي العشابين عدة أسواق منها الجزارين وسوق بيع الأقمشة الصوفية الخشنة. وسوق الخيط وألياف الكتان<sup>(٢)</sup>.

أما عدوة الأندلس فحركتها التجارية ضعيفة، حيث ضمت داخلها أسواقا في مقدمتها التي بيعت فيها أساسا الأثواب والعمود والفضة ومجموعة من الأسواق على الشوارع والطرق خاصة العابرة للكردان في اتجاه باب بين مسافر وتلك التي

(١) الوزان: المصدر السابق، ج ١، ص: ١٨٤، ١٩١؛ ابن أبي زرع: الذخيرة السنية، ص: ٧٣.

(٢) مارمول: المصدر السابق، ج ٢، ص: ١٥١، الوزان: المصدر السابق، ص: ١٨٦-١٩١.

تؤدي إلى باب الفتوح<sup>(١)</sup>.

وبالنسبة لفاس الجديد فأهم الأسواق فيه تنحصر بين بابي القنطرة وعيون  
صنهاجة بربض النصارى إضافة إلى الأسواق التي احتوى عليها حي اليهود<sup>(٢)</sup>.

ويمكن تبرير قوة المتوج الحرفي في عدوة القرويين مقارنة مع عدوة الأندلسيين  
والمدينة الجديدة، بقوة حركة التصنيع وعوامل أخرى مثل كثافة حركة السكان  
والمارة وأهمية التجهيزات والمرافق ووفرة المياه... وكان النشاط التجاري أيضا  
يضعف في الأحياء الحرفية التي تختص في التصنيع أو التي تتواجد بعيدا عن مراكز  
وأماكن التسويق وهو الأمر الذي يعني ضفتي وادي فاس والصناعات التي تمت في  
جهتي باب السلسلة والعشابين وغيرهما. وغلبت التجارة المعاشية على حركة  
الدكاكين والمحلات التي تواجدت في عمق الأحياء السكنية التي لبت متطلبات  
قاطنيها من حاجياتهم المنزلية وفي مقدمتها المصنوعات الغذائية والمكانس... وهو  
الأمر نفسه عند الباعة الذين كانوا يطوفون ببعض المنتجات داخل أحياء أزقة  
المدينة كالذين كانوا يستبدلون المكانس التي يتجولون بها الرماد والنخالة<sup>(٣)</sup> مع  
أرباب المنازل.

وهذه لائحة للأسواق التي عرضت بها المتوجات الحرفية مدعمة المعطيات  
النوعية والكمية والأماكنية، وهي مرتبة حسب أهميتها التجارية.

(١) الوزان: المصدر السابق، ج ١، ص: ١٩٣؛ Massigon: Le Maroc, P: 234؛ العليوي، عبد العزيز:

فاس والتجارة الصحراوية، ندوة: فاس وإفريقيا، سلسلة ندوات ومحاضرات - ٣، ص: ٨٥.

(٢) مارمول: إفريقيا، ج ٢، ص: ١٥٦-١٥٨.

(٣) الوزان: المصدر السابق، ج ١، ص: ١٨٧، ١٩١.

جدول<sup>(١)</sup>: الأسواق الحرفية

اسم السوق	موقعه	معروضاته	معطياته الإحصائية
القيصرية	مركز عدوة القرويين جنوب العطارين	الأقمشة، الجلود، الحلي، العطور	١٢ بابا، ١٥ زقاقا
العطارون	بين مدرسة العطارين وعقبة الجزارين	العطور، مواد الطب والصيدلة	١٥٠ أو ١٧٠ دكانا
	جراوة الأندلس	العطور، الأثواب	٣٠ دكانا
الشامعون	غربي جامع القرويين	الشمع، البز	٤٠ دكانا
الصاغة	ساحة قريبة من العطارين «الصاغة الحالية»	الحلي والمجوهرات	ساحة تضم دكاكين
الصفارون	قبة جامع القرويين	الأواني النحاسية	دكاكين في ساحة الصفارين
السراجون	الطريق الغربي قرب البوعنانية	السروج وتوابعها	٩٠ دكانا
باعة الأحذية	حي السبيطيين	الأحذية	١٥٠ دكانا

(١) لا يحتوي الجدول على المصادر والمراجع المعتمدة لكون معظمها ذكر عند التعرض للحرف الخاصة في الباب الثاني من هذا البحث.

اسم السوق	موقعه	معروضاته	معطياته الإحصائية
الخرازون	جنوب جامع القرويين	نعال للأطفال	٥٠ دكانا
	حي القطنين بزقاق البغل	بلغة للرجال	غير متوفرة
السيطريون	جنوبي جامع القرويين	يرجح عرض الجلود فيه	غير متوفرة
النجارون	سوق النجارين الحالي	مصنوعات خشبية	غير متوفرة
القراقون	قريبا من سوق المركطال الحالي	القباقب الخشبية المزخرفة	دكاكين
سوق الخيط	حي العشابين قريبا من باعة الصابون	خيط الكتان	ساحة ذات أربعة أروقة (تريعة)
سوق الغزل	قرب درب سلمى بعدوة القرويين	الصوف المغزول	ساحة
السقاطون	حي باب السلسلة	سقط السروج	غير متوفرة
الغمادون	حي باب السلسلة	أعمدة السيوف وما شابهها	غير متوفرة
النيارون	حي باب السلسلة	المكحلات والبنادق	١٢ دكانا
الرماحون	الطريق الغربي «سوق القصر»	الرماح	دكاكين مستطيلة

اسم السوق	موقعه	معروضاته	معطياته الإحصائية
التراسون	الطريق الغربي بالطالعة الكبرى بين الإسكافيين والغساليين	التروس والدرق اللمطية	دكاكين
الكتبيون	الواجهة الجنوبية لجامع القرويين	الكتب والمسفرات	٣٠ دكانا
الزجاجون	في محيط ساحة الجمالين بحي النجارين الحالي	الزجاج	١٠٠ دكان
الآبارون	زقاق رحبة القيس شرق العطارين	الإبر	٤٠ دكانا
المشاطون	زقاق رحبة القيس قريبا من الآبارين	الأمشاط الخشبية	١٥ دكانا
الخراطون	زقاق رحبة القيس شرق الآبارين	مخروطات خشبية	دكاكين قليلة
العشابون	قريبا من سوق الخضار بعدوة القرويين	العشوب	٤٠ دكانا
الشراطون	حي باب السلسلة	الشرائط، الحبال القنب، الحصر	بين قنطرة باب السلسلة والضريح الإدريسي

اسم السوق	موقعه	معروضاته	معطياته الإحصائية
الحزامون	عن يمين الخارج من الشاعين إلى القطنين	نطاقات جلدية نسوية	دكاكين على الزقاق
الإسكافيون	الطريق الغربي «الطرفين الحالية»	بيع وإصلاح الأحذية	٢٠٠ إسكافي
التيالون	الطريق الغربي	الغرايبيل، الأكياس	٣٠ دكانا
القبابون	حي باب السلسلة	قباب وأسطل خشبية	بعض الدكاكين
بيع النسيج الصوفي	قرب الجزائرين بعدوة القرويين	المنسوجات الصوفية المحلية	٨٠ إلى ١٠٠ دكان
الفخارون	باب الفتوح	الفخار والخزف	حي خاص
السلالون	انطريق الغربي «سوق القصر»	السلال القصبية وما شابهها	٥٠ دكانا
الحدادون	الطريق الغربي «سوق القصر»	سقط السروج وأسلحة حادة	غير متوفرة
الجزارون	عن يمين الخارج من سوق العطارين إلى عين علو	اللحم	٤٠ دكانا
الدقاقون	حي العشابين	الدقيق	بيعه مع مواد أخرى في ٢٠ دكانا
الزياتون	حي العشابين	الزيت، السمن، العسل...	٥٠ دكانا

اسم السوق	موقعه	معروضاته	معطياته الإحصائية
سوق الدخان	حي العشابين	الفطائر، اللحوم، الأسماك المطبوخة	١٠٠ دكان مبيعاتها كل يوم ٢٠٠ مثقال
البرصة	قريبا من القطانين	خيام وسراديق البادية	زقاق صغير عارض به دكاكين
الشارع الكبير	فاس الجديد	متوجات مختلفة	سوق مسافته ربع ميل

ولم ترد بالجدول عدة أسواق طغى فيها العمل الحرفي على العمل التسويقي، ومنها دكاكين البردعيين والحلفاويين وصانعو الدلاء الجلدية، حيث كانت مصنوعات هذه الأحياء الحرفية لسكان البوادي عن طريق عرضها بالأسواق المحيطة بفاس ومنها سوق الخميس<sup>(١)</sup> الذي كان يعمر كل أسبوع في المنطقة التي تفصل فاس الجديد عن فاس العتيق، كما كان بإمكان الأشخاص الذين يمرون بأماكن التصنيع داخل المدينة اقتناء ما يحتاجونه من مصنوعات مباشرة من صانعيها.

ونظرا لتوافد التجار المحليين والأجانب على الأسواق الحرفية لابتياح السلع والبضائع، فقد تنافسوا على التميز والجيد منها، لذلك ارتفعت أسعار المتوجات الكمالية منها خصوصا في الفترات التي انتعشت فيها الأوضاع العامة للبلاد. ولم تشر المصادر التاريخية إلى أسعار هذه المواد إلا عرضا بحكم عدم خضوعها للتحديد مثل المواد الغذائية، إذ بيعت حبة الصدف الحسن وهو نوع من الجواهر بمثقال ذهب

(١) لوتورنو: فاس في عصر بني مرين، ص: ٥٥.

وأقل وأكثر وبذلك وصفت قيمة بيعه بالمرتفعة<sup>(١)</sup>. وهو الوصف الذي نعتت به أيضا أثان بيع القباقيب الخشبية التي كان يتعلها أعيان القوم، حيث تراوح سعر الزوج الواحد منها بين مثقال ومثقالين<sup>(٢)</sup>، كما يعد تردد الناس على الأسواق دليلا على النشاط الذي عرفه تسويق المتوج الحرفي فقد خرجت نساء المدينة من أجل قضاء حاجياتهن من الأسواق وجلسهن عند الحرفيين والتجار، وهو الأمر الذي عارضه الفقهاء<sup>(٣)</sup>. كما كانت سوق العلم بفاس نافقة إذ كان الناس يتوافدون على دكاكين الكتبيين لشراء الكتب<sup>(٤)</sup>. وانعكست الأوضاع المستقرة للدولة إيجابا على بيع المصنوعات الحرفية، ففي عهد أبي الربيع تنافس الناس في اقتناء الحلي وركوب القاره<sup>(٥)</sup>.

وعلى العكس من ذلك شهد النشاط التجاري في فترات أخرى أزمت أصرت بتسويق المتوجات الصناعية أهمها ما شهدته الأحياء الحرفية والتجارية من حرائق وفيضانات أخطرها:

حريق اندلع سنة ٦٤٦هـ / ١٢٥٠م ابتداء من قنطرة الصباغين وانتهى إلى باب الجنائز، أتمى على أسواق قريبة من باب السلسلة هي السقاطين والسيطرين والصباغين والصوابنين<sup>(٦)</sup>، وقد أخذت النار بعد أن التهمت مصارع باب الجنائز

(١) ابن زرع: الأنيس المطرب، ص: ٣٥.

(٢) الوزان: وصف إفريقيا، ج ١، ص: ١٩١.

(٣) الهلالي، محمد ياسر: نظرة المجتمع للمرأة في مغرب القرنين ٨-٩هـ / ١٤-١٥م، مساهمة تاريخ الذهنيات، مجلة أمل، ع ١٣، ص: ٧٧-٧٨.

(٤) الأنصاري، عبد الملك: الذيل والتكملة، ج ١، ص: ٢٧.

(٥) ابن خلدون: العبر، ج ١، ص: ٤٣٠.

(٦) ابن زرع: الذخيرة السنية، ص: ٧٣.

إحدى أبواب جامع القرويين، حيث وقف على النار بالبواب المذكور الفقيه الفشتالي قبل أن تنطفئ، وبذلك أضر هذا الحريق بأسواق باب السلسلة.

حريق سوق العطارين سنة ٧٢٣هـ / ١٣٢٤ م وهو سوق مشهور يقع بين مدخل المدرسة التي تدعى بنفس الاسم وعقبة الجزائرين، وأمر السلطان المريني بتجديد هذا السوق بعد حريقه، فتم ذلك إذ وصفت دكاينه بعد تجديدها بالجميلة في البناء والزخرفة<sup>(١)</sup>.

فيضان وادي فاس سنة ٧٢٥هـ / ١٣٢٦ م، حيث كان قد أتى سيل جارف نتيجة كثرة الأمطار هدم أحياء سكنية وحرفية ومعالم عمرانية مما كان يلي الوادي الفاصل بين العدوتين والجسور التي تربط العدوتين التي تنحصر بين الرصيف والرميلة. وقد أحصي من الحوانيت التي تهدمت بفعل هذا الفيضان ٩٤ حانوتا<sup>(٢)</sup>، مما عطل الحركة الصناعية والتجارية هناك، إلى أن أعيد بناؤها مع ما تهدم من المباني على مراحل، حيث جددت قنطرتا باب السلسلة والصباعين والأسواق المحيطة بهما، وبقيت قنطرة الرميلة مهدمة<sup>(٣)</sup>.

وقد ساعد تدخل الدولة في شخص السلطان، وتطوع الناس ومنهم الحرفيين، في تخفيف آثار مثل هذه الأزمات التي كانت تعرقل النشاط الاقتصادي داخل المدينة. ويلاحظ أن الحرائق والفيضانات تركزت في مركز المدينة وحول الوادي،

(١) نفسه: الأنيس المطرب، ص: ٤١٣.

(٢) الوزان: وصف إفريقيا، ج ١، ص: ١٩٠.

(٣) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص: ٤١٣.

(٤) نفسه.

(٥) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج ١، ص: ٤٩.

ويعزى ذلك إلى كثافة الأنشطة الحرفية والتجارية، ورخف الأنشطة الصناعية في اتجاه مياه الوادي التي اعتبرت وسيلة أساسية لكثير من الحرف والصناعات.

ويمكن القول بأن الأعمال الحرفية بمدينة فاس كانت عاملا أساسيا في تنشيط التجارة داخل المدينة، إذ تمكن القاطنون هناك من توفير حاجياتهم، كما توافد الناس عليها من الضواحي لاقتناء ما هم في حاجة إليه من سلع ومنتجات. واستقطبت المدينة أيضا بفضل نشاطها الاقتصادي التجار الأجانب الذين كانوا يستقرون داخلها لمدد زمنية قد تقصر وقد تطول يتزودون خلالها بالأنواع والكميات المطلوبة من المنتجات المحلية بهدف تسويقها خارج فاس سواء في محيطها القريب أو بالآفاق البعيدة.

## ٢- التسويق خارج المدينة:

اتسم موقع مدينة فاس بكونه نقطة التقاء مجموعة من المحاور التجارية، إذ ينطلق أحدها في اتجاه أوربا شمالا، وآخر في اتجاه السودان جنوبا، إضافة إلى الذي ينحو إلى المشرق الإسلامي. وقد دعمت الأنشطة الفلاحية والصناعية حول وداخل المدينة مبادلاتها التجارية مع محيطها القريب والبعيد. ولذلك فاهمية فاس التجارية عُدَّت من بين عوامل اختيارها من طرف بني مرين عاصمة مملكتهم<sup>(١)</sup>.

وقد أشرف حكام الدولتين المرينية والوطاسية - وخاصة المرينيين منهم - على تعزيز العلاقات التجارية مع البلدان الأوربية وبلاد إفريقيا جنوب الصحراء. ومع تقدم الفترات الزمنية حرصوا على الحفاظ على علاقات متكافئة مع الأوربيين مسيطرة للتفوق الذي عرفه هؤلاء الأخيرين، ومحاولة استمرار التحكم المغربي في

المبادلات التجارية مع السودانيين. إلا أن ضعف الدولة المغربية وقوة الاقتصاد الأوروبي، والتنافس الشديد بين دول الشمال الإفريقي والبلدان الأوربية على التجارة مع بلاد السودان، أدى إلى تراجع حجم الصادرات المغربية.

### - دعم الدولة لتسويق المتوج الحرفي:

حرص ملوك الدولة خاصة في فترات استقرار الأوضاع العامة، على تشجيع المبادلات التجارية، التي كانت موردا أساسيا من الموارد الاقتصادية والمالية، وأهم الإجراءات المتخذة من طرفهم هي تأمين الطرق التجارية، والمعاملات التجارية التي عقدت مع الدول والممالك الأوربية خاصة، فضلا عن الهدايا المرسلة إلى ملوك الدول الإسلامية والتي كان لها دور في تنشيط الأعمال التجارية.

\* تأمين الطرق التجارية: كانت سلامة التجار وما يحملونه من بضائع خلال نقلها عبر الطرق مؤشرا على تنشيط المبادلات. ولذلك قام سلاطين بني مرين بتعمير طرق المسافرين من فاس في اتجاه المناطق والمدن المغربية بقصد ضمان الأمان للتجار وأمتعتهم وسلعهم. وما ورد في المسند الصحيح تأكيد لذلك «كان هذا العمل (تأمين الطرق) عند إمامنا المرحوم (أبو الحسن) من أهم الأعمال وأكد ما تتصرف همته الشريفة إليه فرأى أن يعمر طرق المسافرين من حضرته بفاس إلى مراكش وإلى تلمسان وإلى سبتة وغيرها من البلاد بالرتب (وهي خيام)، يأمر بسكناها على مقدار اثني عشر ميلا يسكنها أهل الوطن يجري لهم على ذلك إقطاع من الأرض يعمرونها على قدر الكفاية ثوبا على سكنى المواضع المذكورة، يلزمون فيها بيع الشعير والطعام وما يحتاج إليه المسافرون من الأدم على اختلافها والمرافق التي يضطرون إليها هم وبهائمهم ويحرسونهم ويحوطنون أمتعتهم، فإن ضاع بينهم شيء تضمنوه...»<sup>(١)</sup>.

(١) ابن مرزوق: المسند الصحيح، ص: ٤٢٩.

واستغلت الدولة هذه النقطة التي يتوقف ويمر منها التجار، في تحصيل ضريبة غير شرعية منهم عرفت بالرتب أسقطها أبو الحسن المريني مثل سلاطين سبقوه بطلب من الفقهاء، لكن سرعان ما كانوا يعودون إلى جبايتها من أجل التغلب على الصعوبات المالية التي واجهت الدولة، وهو ما حصل في عهد أبي فارس عبد العزيز الذي دعاه الفقيه ابن عباد الرندي إلى إلغائها<sup>(١)</sup> وسواء فرضت هذه الضريبة على التجار أو تم إعفاؤهم من أدائها، فإنها لم تثن التجار عن القيام بنشاطهم المعتاد رغم ما قد تسبب لهم - إن فرضت - من تأثير على مداخيلهم من التجارة. وحرص الدولة على تأمين الطرق يفسر بكونه ضمانا من ضمانات الاستقرار السياسي والاقتصادي ... وعموما كانت الطرق الرابطة بين فاس والمدن والمراكز المغربية الأخرى آمنة، باستثناء الفترات العصيبة التي مرت منها الدولة والتي عمت فيها الفتنة.

#### • توقيع المعاهدات التجارية:

وقعت دولة بني مرين في شخص سلاطينها معاهدات ذات طابع تجاري مع ممثلي البلدان الأوربية، وقد هدف الطرف المغربي بإمضاء تلك المعاهدات إلى تقنين وتنظيم المبادلات التجارية التي تنجز مع الأوربيين، وتخفيف الضغوط التي مارسها هؤلاء على المغرب، إذ كانت التجارة الأوربية منافسا قويا لنظيرتها المغربية في أسواق الشمال الإفريقي وبلاد السودان وغيرها، وأهم المعاهدات الموقعة هي:

. معاهدة فاس التي عقدت بتاريخ ١٦ محرم سنة ٧٠٨هـ / ١٣٠٩م، من أهم بنودها رفع السلطان المريني لثلث الرسوم الجمركية المفروضة على تجار ورعايا مملكة أرغون سواء كانوا مسلمين أو نصارى أو يهودا. إلا أن هذه المعاهدة لم تطبق حسب ما حملته رسالة من السلطان أبي الربيع سليمان إلى ملك أرغون في ١٠ ربيع الأول

(١) السلامي، رشيد: وثائق مرينية، ج ٢، ص: ٣٥١.

١٨/٥٧٠٩ غشت ١٣١٠ م<sup>(١)</sup>.

. معاهدة تلمسان بين أبي الحسن المريني ومبعوثين مفوضين عن ملك ميورقة «دون خاقمة»، نصت على تنظيم التجارة بين الطرفين، والتزام رعايا ميورقة بعدم حملهم من بلاد المسلمين مجموعة من المواد منها الأسلحة والجلود المدبوغة والملحة من نوع البقري والمعزي، وقد وقعت هذه المعاهدة في ٥ شوال ٧٣٩هـ / ١٥ أبريل ١٣٣٩ م<sup>(٢)</sup>.

. معاهدة فاس بين السلطان أبي عنان ومبعوث جمهورية بيزا الإيطالية في ٢٨ ربيع الثاني ٧٥٩هـ / ٩ أبريل ١٣٥٨ م، تتكون من ١٥ فصلا نصت على ضبط وتنظيم العمليات التجارية بين البلدين وطرح حلول للمنازعات والخصومات التي قد تحدث بين رعايا بيزا ونظرائهم المغاربة، كما سمحت هذه المعاهدة لتجار بيزا بالإقامة في فنادق ودور خاصة بهم عند إقامتهم بالمغرب لأغراض تجارية، والتزامهم بأداء الأعشار العادية دون زيادة على البضائع التي يتاجرون فيها<sup>(٣)</sup>.

صادفت المعاهدات الثلاث السابقة قوة دولة بني مرين وما صاحبها من استقرار وازدهار الاقتصاد، وقد عبرت هذه المعاهدات عن مقاومة المغرب في تلك الفترة للضغوط الأوربية التي مورست على المسلمين عامة، والتي مكنت المعاهدات الموقعة من التخلص من بعضها، حيث التزم التجار الأوربيون بعدم إلحاق الضرر بالدولة والمجتمع المغربيين، بأدائهم لواجبات إدخال السلع وجلبها، ومنعهم من تحويل أنواع من البضائع المغربية المصنوعة لأسباب متعددة. ومع ذلك فنود

(١) نفسه، ج ١، ص: ٧٦.

(٢) نفسه، ج ٢، ص: ١٤٥.

(٣) نفسه، ج ٢، ص: ٢٧١.

المعاهدات المذكورة تتضمن تحفيزا وتشجيعا للتجار الأوربيين قصد إنجاز مبادلاتهم مع المغرب، بهدف استغلال أعمالهم في تنشيط التجارة والاقتصاد المحليين، والتمكن من صد المنافسة الشديدة لدول شمال إفريقيا حول التبادل التجاري مع البلدان الأوربية.

ومع ذلك وقفت عدة عوائق في وجه تطبيق بنود المعاهدات المبرمة، وضمان استمراريتها في الزمن، وذلك بفعل التغيرات السياسية والاقتصادية التي شهدتها أوربا من جهة والمغرب من جهة أخرى. فكان ضعف الدولة المغربية وما رافقه من أزمات مصحوبا بتزايد الضغوط على المغرب والتأثير السلبي على اقتصاده بما فيه النشاط التجاري وهو ما سجله بوضوح طور ضعف دولة بني مرين وفترة بني وطاس.

#### • الهدايا المتبادلة:

سادت علاقات ودية بين سلاطين المغرب ونظرائهم في العالم الإسلامي وبلاد السودان، رغم الصراعات التي تأججت بين بني مرين وبني عبد الواد وبني حفص. ويعتبر التبادل بالهدايا بين الأطراف المذكورة أهم تعبير عن الود والسلم الذي يربطهم. كما أن للهدايا دور في تعريف الملوك ورعايا البلدان على منتوجات بعضهم البعض، إضافة إلى نسج علاقات بنيت على السلم ومكنت من تنشيط المبادلات التجارية بين بلدانهم.

وقد وجهت هدايا ملوك بني مرين شرقا إلى بني عبد الواد، ومملكة مصر والشام، وشمالا إلى ملوك بني نصر في الأندلس وجنوبا إلى ملوك ممالك بلاد السودان. ومن بين محتويات هذه الهدايا مصنوعات مغربية ومنها الفاسية التي اطلع

عليها المبعوثة إليهم، وأهم الهدايا هي:

. هدية يعقوب بن عبد الحق إلى يغمراسن بن زيان سنة ٦٧٤-  
٦٧٥هـ/١٢٧٦-١٢٧٧م تضمنت حكمت عموهة بالذهب والفضة، وسروج،  
والأديم المعروف دباجه بالشركسي<sup>(١)</sup>.

. هدية يوسف بن يعقوب بن عبد الحق سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٣م، بعثها مع ركب  
الحج المغربي اشتملت على «خيل ومطايا وماعون ومصحفا ضخما اعتنى به وجعل  
له غشاء بنقيس الدر وشريف الياقوت ورفيع الأحجار»<sup>(٢)</sup>.

. هدية أبي سعيد عثمان سنة ٧٣١هـ/١٣٣٢م، بعثها إلى نظيره في إفريقية كانت  
قد تمت بغرض تجهيز ابنة الملك الحفصي أبي بكر لابنه أبي الحسن، وضمت حكمت  
من الذهب والفضة وولايا الحرير المغشاة بالذهب... لكن وفاة أبي سعيد أوقفت  
الاحتفال بهذا الحدث<sup>(٣)</sup>.

. هدايا أبي الحسن علي إلى نظرائه بمصر ومالي، إحداها جهز بها ركب زوجة أبيه  
التي كانت لها عليه تربية، ووجهت إلى الملك الناصر بقصد تسهيل مرور الركب،  
واحتوت على المطايا الفره ونسيج مختلف وجلد مدبوغ وأواني من النحاس والفخار  
وجواهر وسروج ولجم وسيوف، وذلك سنة ٧٣٨هـ/١٣٣٨م<sup>(٤)</sup>. وبعث أبو الحسن  
بهدية أخرى إلى ملك مالي منسا سليمان رد بها علي وقد هنأه علي استيلائه علي  
تلمسان، ومن بين ما أرسل في الهدية طرفا من متاع المغرب وما عونه من ذخيرة

(١) ابن خلدون: العبر، ج٧، ص: ٢٣٠.

(٢) الناصري: الاستقصا، ج٣، ص: ٨٣.

(٣) الناصري: المرجع السابق، ج٣، ص: ١١٧.

(٤) ابن خلدون: المصدر السابق، ج٧، ص: ٦٠٤.

داره<sup>(١)</sup>.

هدية أبي عامر إلى ملك مصر والشام الظاهر سنة ٨٠٠هـ / ١٣٩٨ م اشتملت على سروج ولجم وسيوف محلاة وأحمالا من الأثواب والجلد...<sup>(٢)</sup>.

وعادة ما كانت هذه الهدايا المغربية ردا على هدايا ويعثات من ملوك الدول الذين وجهت إليهم، أو يُرد عليها بهدايا ماثلة، ولذلك فقد تلقى الملوك المغاربة بدورهم مجموعة من الهدايا مثل التي تلقاها أبو سالم إبراهيم سنة ٧٦٢هـ / ١٣٦١ م من ملك مالي منسا زاطة<sup>(٣)</sup> عبّرت عن استمرار تحسن العلاقات بين المغرب ومالي بالكيفية التي نشطت العلاقات التجارية بين الجانبين.

وقد احتوت الهدايا المرسله من المغرب على منتجات حرفية قسم منها صنّع بفاس التي كانت عاصمة المملكة ومقرا للسلطان ومركزا صناعيا، مما سيجب لرعايا البلدان المستقبله للهدايا المغربية التعرف على المصنوعات الفاسية وطلب اقتناء ما يحتاجونه منها، إذ كانت الهدايا تنهب أمام أعين الناس<sup>(٤)</sup>، وفي حضرة الملوك الذين وجهت إليهم.

وساهمت الإجراءات السابقة التي بادر إليها السلاطين المغاربة في تنشيط المبادلات التجارية بين المغرب والبلدان الخارجية، إذ كان لتلك الإجراءات دور في تحفيز التجار على القيام بأنشطتهم من وإلى المغرب، وتخفيف حدة الأزمات مع

(١) نفسه، ج١، ص: ٣١٥-٣١٦.

(٢) نفسه، ج٧، ص: ٦٠٩؛ الصيرفي، علي بن داود، نزهة النفوس والأبدان، ج١، ص: ٤٧٣.

(٣) ابن منصور، عبد الوهاب: أعلام المغرب العربي، ج١، ص: ١٢٥.

(٤) مثلا حدث في مصر إذ كان الملك يأمر بنهب الهدايا التي وجهت إليه، ويتعرف على محتوياتها بحضور

البلدان التي وقعت معها المعاهدات، وتحسين المبادلات التجارية مع البلدان التي تبادلت الهدايا مع المغرب.

#### - الصادرات الصناعية والحرفية الفاسية:

قام التجار المحليون والأجانب بتحويل مصنوعات فاسية إلى خارج المدينة. وقد سيطر التجار المغاربة على تسويق المنتج الحرفي بمناطق بلاد المغرب، وتنافس معهم التجار الأوربيون على تسويق البضائع والمنتجات الفاسية في أوروبا، بل إن التجار الأوربيين أصبحوا تدريجيا يزاومون المغاربة في التجارة مع بلاد السودان، فضلا عن التنافس الذي لقيه التجار المغاربة من نظرائهم في دول الشمال الإفريقي.

ولقيت بعض أنواع المنتجات الحرفية إقبالا فصدرت من فاس بكميات كبيرة، ومثلت الجلود والمنسوجات والمصنوعات المعدنية وبعض أنواع الأسلحة أهمها. كما تباينت المناطق التي استقبلت المنتجات الحرفية من حيث الكم والنوع الذي أقبلت عليه، إذ مالت الدول الأوربية إلى طلب المنتجات التي عولجت معالجة أولية وغير نهائية استفادت منها في تحويلها إلى منتجات مصنعة، في حين أقبلت المناطق والبلدان الأخرى على ما كانت في حاجة إليه من منتجات صناعية تامة.

#### \* بالنسبة لمناطق ومدن بلاد المغرب:

بيعت بها منتجات حرفية جلبت إليها من فاس، بوساطة من التجار. فقد كان المغاربة يقبلون على المصنوعات المعدنية في مقدمتها الأواني النحاسية<sup>(١)</sup>، والحديد

(١) العلوي، عبد العزيز: فاس والتجارة الصحراوية، أشغال ندوة: فاس وإفريقيا، سلسلة: ندوات

الذي حُوِّل من فاس إلى زيز وكير<sup>(١)</sup>، وهو بدون ريب مصنوع، وبما أن المنطقتين المذكورتين فلاحيتين، فإن الأدوات الحديدية الفلاحية هي المرجحة للتسويق نظرا لضلوع الحرفيين بفاس في صنعها، وحاجة سكان المنطقتين إليها. واستوردت مناطق أخرى مصنوعات معدنية دقيقة مثل أدوات الخياطة التي نقلت من فاس إلى هسكورة وتادالا<sup>(٢)</sup>، ولعل الإبر تأتي في طليعة أدوات الخياطة المصنوعة بفاس والمؤهلة للبيع خارجها. وعلى ذكر منطقة تادالا فقد كانت تسوق بها أيضا السروج الفاسية<sup>(٣)</sup>، التي يرجح بيعها بمناطق مغربية أخرى نظرا لأهميتها وجودتها.

والمنتجات الصناعية المسوقة - السالف ذكرها - ما هي إلا نماذج من التي تم الاتجار بها في بلاد المغرب، فما ذكر عنها في الكتابات والمراجع التاريخية، لم يحدث إلا عرضا. حيث إن تسويق المنتجات بين المدن والمناطق المغربية، كان ينجز بشكل اعتيادي وطبيعي لا يتطلب إشارة أو توثيقا مثل المنتجات التي تباع خارج حدود البلاد.

### \*بالنسبة لأوروبا:

إن المبادلات التجارية المغربية الأوربية اكتست أهميتها، إذ أن الأسواق الأوربية المتعددة كانت تصرف فيها منتجات الضفة الجنوبية المتوسطة - ومنها الفاسية -، إضافة إلى حدة التنافس الذي مارسه رعايا البلدان الأوربية، وفي مقدمتهم الإيبيريون والإيطاليون على الاقتصادات المغاربية. وقد حاول ملوك الدولة المغربية الحفاظ على علاقات تجارية متكافئة لا تضر بالاقتصاد المحلي من خلال عقد

(١) بنعبد الله، عبد العزيز: معطيات الحضارة المغربية، ج ٢، ص: ٦٩.

(٢) نفسه، ص: ٦٨.

(٣) Massignon ; Le Maroc, P : 99.

معاهدات تجارية تم التعرض إلى بعضها سابقا، لكن الظروف والأوضاع العامة - كما سبقت الإشارة إلى ذلك - التي عرفها المغرب والبلدان الأوربية شهدت خرق تلك المعاهدات، وعرقلة تطبيق ما نصت عليه، إلا أن ذلك لم يوقف المبادلات التجارية بين الجانبيين، والتي كان التجار وعامة الناس في حاجة إليها.

وقام التجار المغاربة والأوربيون بأعمال نقل المتوجات الصناعية المغربية إلى الأسواق الأوربية، فكانوا يحملون الفاسية منها إلى المرافئ المتوسطة والأطلنتية، لتبحر بها السفن إلى أوربا خاصة عبر البحر الأبيض المتوسط في اتجاه الجزر والمدن الساحلية الأوربية. فقد أبحرت سفينة مرينية في البحر المذكور بها تاجر من فاس تم تدميرها من طرف الجنويين<sup>(١)</sup>. وهذا بمثابة الدليل على مساهمة التجار المحليين في تسويق منتجات بلادهم خارج حدودها، وما واجهوه من منافسة من جانب الأوربيين مما كان يحول الصراع أحيانا ليتخذ طابعا حربيا. إلا أن دور التجار الأوربيين في حمل البضائع من فاس وغيرها في اتجاه بلدانهم كان يتزايد مع تطور الفترات الزمنية، ساعدتهم في ذلك مجموعة من الأسباب من بينها المعاهدات الموقعة مع الطرف المغربي، التي أتاحت لهم ظروف استقرار مناسبة بالمناطق والمدن التي يستقرون فيها بغرض التجارة. ومدينة فاس موضوع الحديث توفرت بها «مائتي فندق بنيانها في غاية الإتقان، بعضها فسيح جدا، كالتي تقع بجوار الجامع الكبير، وتتألف من ثلاث طبقات، منها ما يشتمل على مائة وعشرين غرفة، ومنها ما يشتمل على أكثر من ذلك، وفي كل فندق صهريج وميضأة ببالوعاتهما لاستفراغ القاذورات»<sup>(٢)</sup>.

(١) Dufourcq : L'Espagne catalane, P : 164.

(٢) الوزان: وصف إفريقيا، ج ١، ص: ٢٣١.

وخصمت بعض هذه الفنادق لإيواء التجار الأجانب الأوربيين لا يشاركونهم فيها أحد، يقضون فيها أغراضهم من سكن وغذاء وغير ذلك موازاة مع نشاطهم التجاري بالمدينة. وهو ما أتاح لهم مباشرة تصدير البضائع والمنتجات انطلاقاً من المدينة المذكورة.

وانتظم التجار الأوربيون المستقرون بفاس في شركات أو مارسوا أعمالهم بشكل حر، إذ كانت لشركة تجارية من برشلونة -مثلاً- أعمالاً بفاس، وانتمى معظم هؤلاء التجار إلى المناطق الإيبيرية مثل كطلونيا وميورقة وأرغون، وإلى المهاليك الإيطالية كجنوة وبيزا<sup>(١)</sup>.

وأقبل التجار الذين حولوا المنتجات الحرفية من فاس إلى أوربا على بعض الأصناف أبرزها الأصواف والجلود وبعض أنواع السلاح. وتزود الأوربيون منهم بالمنتجات الصناعية المذكورة من مؤسسة المخزن ومن دكاكين الحرفيين في فاس. فقد أنجزت الدولة المرينية مبيعات عسكرية لمملكة أرغون احتوت على ألفي فارس مجهزة<sup>(٢)</sup>، ويبيح الخيول مجهزة تعني أنها كانت مزودة بوسائل الركوب عليها والتحارب من فوقها، وهي أدوات تميزت الصناعة في فاس بإنتاجها، إذ من المرجح احتواء تلك المبيعات على السروج والسقط والسيوف والخناجر وغير ذلك مما يزين الخيل والفرسان.

ورغم المنع الذي تم الاتفاق عليه في بعض المعاهدات المرينية الأوربية، الذي همّ تصدير بعض المواد مثل الجلود، فإن كميات منها تدفقت على أوربا، ويعبر ذلك

(١) Dufourcq: L'Espagne catalane, P:160؛ السلامي: وثائق مرينية، ج ١، ص: ٢٩-٧٦؛ نفسه:

ج ٢، ص: ٢٧١.

(٢) Dufourcq: L'Espagne catalane, P: 213.

على حاجة الأوربيين للجلد المغربي، وعلى ما كان يشوب تطبيق المعاهدات من خروقات وتراجع عن نصوصها لأسباب كثيرة ومتداخلة، والكمية الكبيرة من الجلود التي كانت تعالج بدور الدباغة بفاس، تسمح بإمكانية تصدير قسم منها إلى وجهات خارجية منها الدول الأوربية.

لقد سمحت المعاهدات الموقعة مع الأوربيين بنقل الأصواف، بعد معالجاتها في مدينة فاس بغسلها وتصيينها من طرف حرفيين مختصين، وأفادت الأصواف صناعة النسيج الأوربي الذي سيصبح منافسا لنظيره المغربي.

تلك هي أهم البضائع التي صنعت بفاس ووجهت إلى أوربا، التي استوردت أنواعا من البضائع المنتجة الأخرى لكن بكميات ضعيفة، وقد حولت تلك البضائع التي كان جلها يعالج أوليا إلى منتوجات صناعية نافست بشدة المنتوجات المغربية حتى في عقر أماكن التصنيع.

#### \*بالنسبة لبلاد السودان:

اعتبرت بلاد السودان أو الممالك التي كانت تقع جنوب الصحراء أسواقا فضلها التجار نظرا لإقبالها الكبير على المنتوجات والمواد المصنعة وغناها بالمواد الخام وفي مقدمتها الذهب، بالشكل الذي وفر مردودية هامة للمتاجرين في البضائع والصانعين لها. وتبارت مدينة فاس مع المراكز الصناعية سواء المتتمة لشمال إفريقيا أو أوربا في صرف المتوج الحرفي بتلك الأسواق. وكانت الأواني النحاسية<sup>(١)</sup> في مقدمة البضائع التي لقيت ترويجا ببلاد السودان، فمثل ذلك مصدرا من بين مصادر قوة الصناعة الفاسية، إذ ورد عند الحميري أن النحاس المصنوع بفاس كان يصدر

(١) العلوي، عبد العزيز: فاس والتجارة الصحراوية، ص: ٨٥-٨٦.

منها إلى الآفاق البعيدة<sup>(١)</sup>.

وبيعت بالسودان أيضا أنواع وكميات من الحلي التي صنعت من المعادن والجواهر والزجاج<sup>(٢)</sup>، وكان قسم منها مصدره مدينة فاس التي اشتهرت بهذه الصناعة كذلك.

كما تم تصدير قسم من المنسوجات المصنوعة بفاس إلى بلاد مالي، بل إن المغاربة أثروا في تصنيع النسيج بهذه البلاد<sup>(٣)</sup>.

وقد استقبلت بلاد السودان مصنوعات فاسية أخرى منها الأسلحة والسكاكين الحديدية، والخيول التي يحتمل أن تكون مجهزة بالسروج واللوازم الأخرى لركوبها، كما لقي الفخار والخزف رواجاً كبيراً ببلاد إفريقيا جنوب الصحراء، إذ اكتشفت بقاياها هناك أرجعها الباحثون المختصون إلى أصول فاسية وأندلسية، كما كانت سوق بيع الكتب ببلاد السودان نافقة، إذ أشار الوزان إلى بيع المخطوطات المغربية في تلك البلاد<sup>(٤)</sup>.

لقد مكنت أعمال تسويق البضائع المذكورة سابقاً في بلاد السودان، من الحصول على مواد خام هامة أبرزها الذهب والعاج فضلاً عن العبيد، وهو ما كان يزيد من حدة المنافسة بين المصنوعات والتاجرين بها خاصة أن كميات الذهب المتبادل بها انعكست مردوديتها إيجاباً على اقتصادات ومجتمعات البلدان التي حولت إليها.

(١) الحميري: الروض المعطار، ص: ٤٣٥.

(٢) الحريري: تاريخ المغرب والأندلس في العصر المريني، ص: ٢٩٥؛ حافظي، علوي حسن: التجارة المغربية، معلمة المغرب، ص: ٧٧، ٢٢٧٤.

(٣) العلوي، عبد العزيز: العلاقات التجارية والثقافية بين المغرب المريني وامبراطورية مالي، مجلة كلية الآداب وع إيفاس سايس، ع ٥٤، ص: ٥٩.

(٤) نفسه، فاس والتجارة الصحراوية، ص ص: ٨٧-٨٩؛ المتوني: أبحاث مختارة، ص: ٣٣٧.

## \*بالنسبة للمشرق الإسلامي:

اعتباراً لوحدة بلاد مصر والشام السياسية في الفترة التي تزامنت مع الحكم المريني الوطاسي للمغرب، ونظراً لموقع تلك البلاد المهم المتمثل في كونه انتقالياً بين المغرب الكبير وبلاد الحجاز والشرق الأقصى، وبفعل سيادة علاقات ودية ربطت السلاطين المرينيين ونظرائهم من بني قلاوون في مصر والشام، فإن ذلك كله انعكس إيجاباً على المبادلات التجارية بين الطرفين. ومن أهم تلك المبادلات المسجلة بيع متوجات عسكرية حولت من فاس إلى عاصمة مملكة مصر والشام احتوت على السروج والمهاميز والسيوف، إذ انتقلت بعثة خاصة إلى فاس حملت تلك المبيعات مع متوجات أخرى مُجّلت من تلمسان وتونس إلى الديار المصرية<sup>(١)</sup>. ويبدو أن مبيعات صاحب فاس منها كانت بأثمان مشجعة، بل إنها كانت شبه مهداة منه إلى نظيره بمصر، رغم أن نص الهدية ذكر لفظ ابتاعها من فاس. ووضحت هذه الصفقة التجارية أن مدينة فاس مع مدن مغربية أخرى كانت قوية على مستوى صناعة الأسلحة التي -إن سمح المقام- يمكن وصفها بالتقليدية أو غير النارية، وقد وافق تاريخ إنجاز العملية التجارية المذكورة مطلع القرن التاسع الهجري، الخامس عشر ميلادي، وإنجاز مبادلات مماثلة قبل وبعد ذلك التاريخ أمراً محتمل الحصول.

وشهدت بلاد المشرق الإسلامي بيع متوجات حرفية مغربية أخرى مثل الخلي وبعض أنواع الجواهر<sup>(٢)</sup> وغيرها، وكان حرفيو مدينة فاس يشتهرون بتصنيعها.

تنافست الدولة المغربية في التجارة مع مملكتي تلمسان وتونس، وكان حكام

(١) ابن خلدون: العبر، ج ١، ص: ٤٣٠.

(٢) الحريري: المرجع السابق، نفس الصفحة؛ أبو سديرة، السيد طه: الحرف والصناعات في مصر

الإسلامية، ص: ١٧٧.

الدولة المرينية - في طور القوة - قد بذلوا جهودا لضمها إلى بلاد المغرب، لكن ذلك لم يتم إلا في فترات محدودة ومتقطعة. مما جعل المنافسة محدمة بينهم.

### - تأثر الصادرات الصناعية بالمنافسة الخارجية:

إن الفترة المتأخرة من الحكم المريني الوطاسي ميزها ضعف الدولة وتراجع أنشطتها الاقتصادية، في وقت تصاعد فيه نجم الأوربيين على مستويات عدة منها السياسي والاقتصادي. فقد تنوعت الصناعات الأوربية، وتعددت فروعها، وأصبحت تنتج الأواني النحاسية ومصنوعات معدنية أخرى. كما اشتهرت بعض المدن والمناطق الأوربية بتصنيع الفخار والخزف خاصة مملكة ميورقة ومدينة بلنسية. وأضحت الصناعة الأوربية مزودا للأسواق الخارجية بالنسيج والملابس، ومنتجات أخرى مثل التحف الحجرية والزجاج والزيت<sup>(١)</sup>.

لذلك بذل التجار الأوربيون مؤسسات وأفرادا، جهودا لتسويق المنتج الصناعي في البلدان الخارجية، ومنها دول شمال إفريقيا وبلاد السودان بحكم القرب الجغرافي والإقبال على البضائع في هذه الأسواق. فقد أصبحت مثلا جزيرة ميورقة تصدر ثلثي بضائعها إلى الدول المغاربية<sup>(٢)</sup>، مما يوضح مدى أهمية هذه الأسواق في ترويج المصنوعات الأوربية التي كانت مؤطرة في بيعها من خلال الاتفاقيات والمعاهدات الموقعة مع ملوك بلدان المغرب الكبير. وكان الناس يسعون إلى اقتنائها كلما كانت جيدة وأثمانها مناسبة، وهو ما أدخل المنتجات الحرفية المحلية، ومنها الفاسية، في أزمة منافسة حادة، لم تزاحمها المنتجات الأوربية في الخارج، بل حتى في عقر دارها، إذ زينت الدور والمحلات بأنياب الخزف المايورقي،

(١) Dufourcq : L'Espagne catalane, PP : 58, 68.

(٢) ibid, P : 68.

مثل دكاكين بيع اللين بإحدى أزقة فاس<sup>(١)</sup>. كما أن العدد الكبير للدكاكين التي عرضت بها مادة الزجاج<sup>(٢)</sup>، وما يتطلبه ذلك من كبر حجم المعروضات من هذه المادة أتاح للتجار إمكانية عرض الزجاج المصنوع بأوروبا<sup>(٣)</sup>، وهذين نموذجين لمنافسة المصنوعات الأوربية للفاسية. والأمر ازداد استفحالا في المناطق البعيدة عن فاس وأهمها بلاد السودان التي أصبحت أسواقها مليئة بالمتوجات الصناعية الأوربية طلبا للتزود منها بالمواد النفيسة التي كانت أمل ازدهار اقتصادات البلدان.

كل ذلك سيجعل المغاربة تدريجيا يتخلون عن دور الإنتاج والوساطة الذي كانوا يقومون به، ليكتفوا بالوساطة<sup>(٤)</sup> فقط بين بلاد السودان من جهة وبلدان أخرى أهمها الأوربية من جهة أخرى.

(١) الوزان: وصف إفريقيا، ج ١، ص: ١٨٤.

(٢) تم عرض الزجاج في مائة دكان بالمدينة حسب ما ورد عند مارمول، إفريقيا، ج ٢، ص: ١٥١.

(٣) نشاط، مصطفى: ملاحظات حول المعاهدات التجارية المغربية في العصر المريني الأول: أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب، كلية الآداب وع إ عين الشق، البيضاء، ج ٢، ١٩٨٩، ص: ٦٢.

(٤) العلوي، عبد العزيز: العلاقات التجارية والثقافية بين المغرب المريني وإمبراطورية مالي، مجلة كلية الآداب وع إ، فاس، ٥، ١٩٨٩، ص: ٦٥.



## الفصل الثاني

### الأدوار الاجتماعية للحرف والصناعات

المبحث الأول: نظام الطوائف الحرفية وبعده الاجتماعي

المبحث الثاني: الخدمات الاجتماعية العامة للحرف والصناعات



إن كثرة الحرف و الصناعات الخاصة بفاس، و كثرة عدد العاملين فيها حول معظمها إلى طوائف حرفية بدأ نظامها يتأسس منذ تأسيس المدينة، و استمر تدعيم هذا النظام في الفترة المرينية الوطاسية، مما كان له أثر في مد الجسور الاجتماعية بين الحرفيين.

وقدمت الأنشطة الحرفية و الصناعية خدمات عامة للمجتمع، فوفرت حاجياته و متطلباته في العلم و الصحة و السكن و التغذية و اللباس و غيرها، و كانت الأعمال المجانية للحرفيين و الخدمات التي وفرتها مؤسسات الدولة مسهمة في ولوج الشرائح الاجتماعية العامة إلى تلك الخدمات المقدمة.

## المبحث الأول

### نظام الطوائف الحرفية وبعده الاجتماعي

دُعيت فئة الحرفيين بعدة نعوت، منها الأصناف<sup>(١)</sup>، إذ أن كل صنف يعني أهل حرفة معينة، والنقابات<sup>(٢)</sup> التي تستمد دلالتها من النقيب الذي يعد ممثلاً لحرفة من الحرف، ثم الطوائف<sup>(٣)</sup> التي تجمع على طائفة يجتمع أعضاؤها في ممارسة نفس الصنعة، ولدلالة هذا المصطلح الأخير الاجتماعية قُدِّم على المصطلحين الأولين.

إن الطائفة الحرفية رابطة جمعت المحترفين في نشاط صناعي معين، مكنتهم من تنظيم أعمالهم وترتيب صفوفهم، مما أفادهم في سهولة الاتصال مع غيرهم كانوا أفراداً أو مؤسسات، وقد أسهمت كثرة عدد أعضاء الحرفة المصحوبة بالتنظيم في التماسك والتعاون بينهم، فانعكس ذلك بالإيجاب على أحوالهم الاجتماعية.

ورغم التفاوت بين الطوائف الحرفية في طبيعة كل حرفة ومردوديتها وقيمتها الاجتماعية، فإن مظاهر العمل الدؤوب والتعیش والكسب الحلال والتأزر والتعاون بين الحرفيين خففت من ذلك التفاوت، فكانت فئة الحرفيين ضمن الفئات التي حظيت بتقدير الناس بخاصتهم وعامتهم.

(١) سالم محمد محمود: أدب الصنائع وأرباب الحرف حتى القرن العاشر الهجري، نشر مشترك بين دار

الفكر المعاصر بيروت ودار الفكر بدمشق، ص: ٣٩، النميري: فيض العباب، ص: ٤٩٨.

(٢) الوزان: وصف إفريقيا، ج ١، ص: ١٨٤.

(٣) نفسه، ص: ١٩٣.

## المطلب الأول

### نظام الطوائف الحرفية

أسهمت عدة عناصر في انتظام الحرفيين وترتيب صفوفهم داخل طوائف خاصة بهم، كان لها نظام عمل موحد، تحكمها علاقات محددة مع الزبناء، وتراقبها مؤسسات مسؤولة في مقدمتها الحسبة، وتعرض نزاعها على الفقهاء والمفتين والقضاة للبت فيها. وقد مكن نظام الطوائف من ضمان استمرارية العمل الحرفي داخل مدينة فاس.

#### ١- العناصر المؤسسة للنظام:

أسهمت عدة عناصر في تكوين النظام الطائفي للحرفيين أهمها انتهاؤهم العرقي والديني، وانتظام وترتيب الأحياء الحرفية في المجال بداخل المدينة.

#### تخصص القبائل في الحرف:

بعد تأسيس مدينة فاس في نهاية القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي من طرف ثاني ملوك دولة الأدارسة، تم إنزال كل قبيلة من القبائل التي استوطنت المدينة بمكان تمارس فيه حرفة لا تمارسها قبيلة أخرى بهدف تجنب الغش في الحرف<sup>(١)</sup>. وقد بقيت آثار هذا الإجراء سارية المفعول أيضا في العصرين المريني والوطاسي، بالرغم من طول المدة الزمنية التي تفصلها عن عصر التأسيس.

(١) مجهول: ذكر قصة المهاجرين المسمون اليوم بالبلديين، مخطوط في مجموع بالخزانة العامة بالرباط،

فالحالمون الذين كانوا يتجمعون في ساحة وسط المدينة قصد ممارسة حرفتهم مثلا انتموا لقبيلة إزرزاين<sup>(١)</sup> وهي إحدى القبائل المتوافدة على فاس. إلا أن ذلك لا يعني أن كل طائفة كانت وحد أفرادها الانتماء لقبيلة واحدة، بل أن طول المدة الزمنية لممارسة الحرف في المدينة، بدأت تتلاشى معه وحدة الانتماء القبلي عند الحرفيين لكن في حالة وجوده كان يعد عنصرا مساعدا في انسجام وتعاون المتمين للحرفة.

### . الانتماء الديني:

لهذا العنصر أيضا أهميته، وقد جمع معظم الحرفيين الانتماء للدين الإسلامي الذي كانت لمبادئه أدوارا فاعلة في تنظيم العمل الحرفي، وتحسين الجودة والمردود، وتظافر وتعاون الحرفيين، واستفادة بعضهم من خبرات البعض الآخر. وقد احتضنت مدينة فاس أنشطة حرفية تخصص فيها غير المسلمين من يهود ومسيحيين، فاشتغل اليهود بحرف مميزة مثل الصياغة حيث كان لهم نظام خاص بهم، واشتغل المسيحيون في أنشطة أخرى فعمل الأسرى منهم تحت إمرة المسلمين في نشارة الأخشاب وقصر الخيوط<sup>(٢)</sup>، في حين اشتغل الأحرار بحرف أبرزها صناعة السلاح بفاس الجديد. لذلك خالط المسلمون المسيحيين، فقد كان أعضاء الطائفتين المسلمة والمسيحية يشتغلون في بعض الأوقات في حرفة أو صنعة واحدة، وذلك بحكم قلة العناصر المسيحية العاملة في النشاط الحرفي واستقرارها المؤقت في فاس مقارنة مع اليهود الذين كثر عددهم واستقروا بصفة نهائية في فاس منذ فترة مبكرة. والأمر الأساس هو أن انتماء الحرفيين إلى دين موحد كان مشجعا على ممارسة العمل الحرفي المشترك وعاملا مساعدا في ترتيب وتنظيم الصفوف وبث روح التعاون والتواد بين

(١) الوزان: المصدر السابق، ج ١، ص: ١٩٣.

(٢) نفسه.

أعضاء الطائفة الدينية المشتغلة في الحرف.

. وحدة المكان:

المكان هو المجال الذي مارس فيه الحرفيون أعمالهم، حيث استقر عناصر كل طائفة حرفية بمكان خاص تجتمع فيه دكاكينهم، وهو أمر سهل عملية تنظيم العمل الحرفي. وقد أكد الوزان هذا الأمر حيث ذكر بأن «نقابات الحرفيين مفصول بعضها عن بعض»<sup>(١)</sup>، وهو ما أفاد العاملين في الحرفة الواحدة كي يتعاونوا ويتواصلوا فيما بينهم، بالشكل الذي يتيح الرفع من كمية المصنوعات وتحسين جودتها في ظل التنافس الحاصل بين الحرفيين، والذي هو سمة إنسانية اتصف بها أهل الحرف كغيرهم.

ومكن أيضا تجمع أعضاء الحرفة الواحدة من سهولة توافد الزبناء عليهم، وتمهيد عمل أمين الحرفة لأنشطته باعتباره ممثلا للعاملين معه لدى السلطة، وساهرا على حل المشاكل والصعوبات التي تطرح بين الحرفيين، وبينهم وبين الزبناء. كما أسهمت ممارسة الحرفة في الحي الواحد في تيسير عمل المحتسب من خلال قيامه بمراقبة الأسواق، حيث كان يزور الحرفيين في عين المكان الذي يشتغلون فيه، فيطلع على أعمالهم، ويصدر قراراته ويحرص على تنفيذها وتطبيقها بحكم السلطات المخولة له.

ولم تكن كل الحرف تمارس في أماكن مجتمعة، بل استدعت طبيعة بعضها، وحاجات السكان إليها ممارستها متفرقة، كما حصل بالنسبة لبعض المتوجات الغذائية كالديق والحاجات المنزلية كالمكانس إذ يبعث للسكان في أماكن تتواجد في

(١) الوزان: المصدر السابق، ج ١، ص: ١٨٤.

أحياء متعددة، كما كانت بعض الأنشطة الصناعية مثل النسيج، الذي لم تستدع صناعته أماكن عرضه، اقتناء النساكين لمحلات تتعدد طوابقها وتنفرد في عدة أحياء، والمطاحن التي هي بنايات اشترط في تشييدها توفر المياه القادرة على تحريك الأرحاء<sup>(١)</sup>. إلا أن هذه الحالات تعد استثناءات ألزمت بعض الحرف بعدم التوحد في ممارسة أعمالهم في المكان، لكنها مع ذلك لم تكن عوامل تلغي الوحدة وتؤثر عليها سلباً بين أعضاء الطائفة الواحدة.

والعناصر المذكورة سابقاً التي ساعدت في تأسيس النظام الطائفي للحرفيين احتكمت بطبيعة الأنشطة الحرفية الممارسة، وللتطورات التي مر منها النشاط الحرفي منذ تأسيس المدينة، ولطبيعة المجال الجغرافي الفاسي. فأفرزت تنظيمًا حرفياً له أعرافه، لكن الفاعل فيه هو تدخل أجهزة الدولة والمجتمع في وضع التنظيمات التي يلتزم بها الحرفيون أثناء قيامهم بأعمالهم، والعمل على وقف تجاوزاتهم - إن حصلت - وصحيح أن انضباط الحرفيين والتزامهم سوف يزداد عندما تكون تلك الأجهزة فاعلة، لكن صحيح أيضاً أن الانتماء القبلي والديني والمكاني له دوره أيضاً في هذا الانضباط وذاك الالتزام.

## ٢- نظام العمل الحرفي:

مارس أعضاء الطوائف الحرفية أعمالهم وفق نظام مكنهم من تحديد العلاقات التي تربطهم بالزبناء ومؤسسات الدولة. وكان لأهل الذمة نظام خاص بهم أتاح ممارستهم الأنشطة الحرفية ملتزمين بأداء الحقوق المالية للدولة وعدم إيذاء الناس في تلك الأنشطة.

(١) نفسه، ص: ١٨٧، ١٩١، ١٩٣.

## . التعليم الحرفي:

تكونت كل طائفة حرفية من المعلمين والصناع والمتعلمين، وهي ثلاثة مراتب يتدرج فيها المنخرط في حرفة ما، إذ بعد أن يكون مبتدئا متعلما، يصبح صانعا، وقد يتحول إلى معلم أو «رب العمل».

بعد قبول المتعلم كعضو جديد في الطائفة يشرع في العمل بتعلم تقنيات الحرفة من الصناع والمعلمين، وعادة ما يكون المتعلم غلاما ينجز الأشغال البسيطة مقابل مكافآت تميزها البساطة أيضا. وبذلك يتعرف تدريجيا على أسرار الحرفة بممارستها والاحتكاك ببقية العاملين معه. ومع تزايد إتقانه للأعمال التي يقوم بها تعين له أجرة مقابل عمله، وبعد ممارسته الحرفة سنين معينة، وبلوغه سن الرشد، واقتناع رب العمل بصنعتة، ينتقل إلى رتبة صانع، فتحدد له أجرة ثابتة، أما الانتقال من صانع إلى معلم فيحصل عندما تتاح الإمكانيات المالية المؤهلة لاقتناء محل وأدوات وآلات، وتشغيل عدد ما من المتعلمين والصناع<sup>(١)</sup>.

والتعليم وسيلة لتدرج الحرفيين في المراتب وإبراز مهاراتهم في تقنيات الصنع، وعن خصوصيات هذا التعليم عند الحرفيين تحدث ابن خلدون قائلا «الصناعة هي ملكة في أمر علمي فكري، وعلى قدر جودة التعليم وملكة المعلم يكون حذق المتعلم في الصناعة وحصول ملكة، ... والمتقدم منها (الصنائع) في التعليم هو البسيط لبساطته أولا، ولأنه مختص بالضروري الذي تتوفر الدواعي لنقله، فيكون سابقا في التعليم ويكون تعليمه لذلك ناقصا، ولا يزال الفكر يخرج أصنافها ومركباتها من القوة إلى الفعل بالاستنباط شيئا فشيئا على التدريب حتى تكمل، ولا يحصل ذلك

(١) لوتورتو: فاس في عصر بني مرين، ص ص: ١٤٠-١٤١.

دفعة وإنما يحصل في أزمان وأجيال»<sup>(١)</sup>. فالملكة من خلال النص السابق تدل على القدرات والمهارات الصناعية التي يكتسبها الحرفي، والتي تتم بالتعلم والتدريب، وأهميتها تتوقف على خبرة المعلم، إلا أن التعليم يزداد صعوبة كلما كانت الصناعات المتعلّمة مركبة، في حين يكون سهلاً عندما تكون بسيطة تستدعي ضرورتها تعلم تقنياتها. كما وضح ابن خلدون أن إخراج صناعات مركبة من النظر إلى الواقع تتطلب تدريباً طويلاً يتيح اكتساب المتعلم للتقنيات الحرفية ببطء، وقد يدوم لمدة زمنية طويلة، لكنه تعليم جيد، ولذلك فالصناعات سواء المركبة أو البسيطة تلقن لتعلمها شفويًا من طرف المتقنين لها، وتنقل من جيل إلى جيل، وقد تنقرض إذا أهملت أو لم تعد الحاجة داعية إليها، أو لم يوجد من يلقتها، أو لسبب آخر.

وبذلك فمدينة فاس المرينية الوطاسية استفادت في التعليم الحرفي مما تراكم من تجارب سابقة، ومن الذين نقلوا تجارب حملوها إلى المدينة من بلدان خارجية سواء من طرف صانعين هاجروا إلى فاس، أو من طرف فاسيين نقلوا التقنيات الصناعية بهجرتهم من أجلها، علماً أن الطريقة الأولى كانت أكثر شيوعاً من الثانية، وقد كان الأندلسيون في طليعة الناقلين للتقنيات الصناعية إلى فاس.

### . التوقيت في العمل:

ونظام العمل عند الطوائف الحرفية ذو أوقات معلومة، إذ كان الحرفيون يشرعون في عملهم بعد صلاة الصبح وتناول الفطور ويستمرون إلى وقت صلاة الظهر، ثم يتوقفون بعد ذلك لتناول وجبة الغذاء، ويستأنفون العمل إلى صلاة العصر، وفي أوقات استثنائية يواصلون العمل بعدها إلى غروب الشمس<sup>(٢)</sup>،

(١) ابن خلدون: العبر، ج ١، ص: ٤٢٦.

(٢) لوتورنو: فاس في عصر بني مرين، ص ص: ١٤٦-١٤٧.

ويستخلص من خلال ذلك أن أوقات الصلوات كانت مناسبات للشروع والتوقف عن العمل عند العاملين في الحرف والصناعات. لكن بعض التخصصات استثنت من التوقيت المعلوم مثل الدلالة التي كانت تنطلق بعد الظهر إلى وقت متأخر من المساء<sup>(١)</sup>، ويفسر هذا بارتباط عمل الدلالين بحرف أخرى منتجة لسلع توجه للأسواق في ذلك الوقت بقصد بيعها بالمزاد العلني الذي يعد من مهام الدلالين، إضافة إلى ارتفاع حركة توافد الناس على الأسواق في المساء مقارنة مع الصباح.

وكان عمل الحرفيين يمتد طيلة أيام الأسبوع، يحصلون خلالها على عطلة نصف يوم الجمعة الثاني<sup>(٢)</sup> إتاحة لهم لأداء صلاة الجمعة، وما يليها من جلوس مع الأسر وزيارة للأقارب والأماكن المفضلة، وإقامة الولائم والحفلات. كما كان العمل الحرفي يتوقف في أيام الأعياد الدينية والمناسبات الوطنية<sup>(٣)</sup> مثل الاحتفالات التي تواكب خروج أو رجوع السلطان من وإلى المدينة.

. الاستحجار:

هو تقديم الحرفيين لأعمالهم وخدماتهم مقابل أجور نقدية، حيث كان الحرفيون يقبضون تلك الأجور من مشغليهم أو من الزبناء المستفيدين من أنشطتهم الحرفية.

فقد كان العامل لدى رب الحرفة يتلقى منه أجرا معينا لمدة زمنية محددة عادة ما كانت تصل أسبوعا يتلقى في نهايته أجرا، وقد تكون الأجرة المدفوعة للحرفي مقابل

(١) الوزان: المصدر السابق، ج ١، ص: ١٨٧.

(٢) نفسه، ص: ١٩٣.

(٣) لوتورنو: المرجع السابق، ص: ١٤٧.

عمل يوم واحد إذا كان مياوما أو يعمل بصفة مؤقتة<sup>(١)</sup>. وقد اعتمد أرباب الحرف في تحديد أجور العاملين لديهم على مدى اكتساب هؤلاء للخبرات والتقنيات، حيث يرتفع الأجر كلما أتقنوا حرفتهم، لذلك كان الأجر رمزيا عند المبتدئين، ومرتفعا عند الصناع ثم المعلمين. كما أن الأجور تباينت في حجمها بين الحرف حسب طبيعة التقنيات والمهارات المعتمدة فيها، وحسب تكاليف تصنيعها، إذ ارتفعت أجور العاملين في الحرف المركبة والمرتفعة التكاليف، في حين انخفضت في التي ميزتها التقنيات البسيطة والتكاليف الإنتاجية المنخفضة. وهذا ما جعل العاملين في الصنف الأول (المركب والمرتفع التكاليف) يحرصون على ضمان السرية في التقنيات التي يكتسبونها تلافيا لتعرضهم للمنافسة<sup>(٢)</sup>. وبالنظر إلى حجم الأجور يسجل ارتفاعه في صناعة النسيج وطحن الدقيق لارتفاع عدد العاملين فيها<sup>(٣)</sup> مقارنة مع بقية الأنشطة الصناعية.

ميز نظام العمل بالأجرة أيضا العلاقة بين الحرفيين والزبناء. فقد كانت عمليات طحن الزروع تتم مقابل دفع أجور معلومة لأصحاب الأرحية فاقت دون شك الضريبة التي كان يدفعها للدولة والتي تحددت في نصف ريال عن كل كيل<sup>(٤)</sup>. ومن الحرف الأخرى التي أُدِّيت فيها الأعمال والخدمات مقابل أجور الخياطة والحرازة والحياكة والصبغة والتسفير، كان الحرفيون ملتزمون فيها بإنجاز ما يطلب منهم من مصنوعات مع التوفر على بعض المواد الأولية كالخيط عند الخياط

(١) كنون، عبد الصمد: جنى زهر الأس في شرح نظم عمل فاس، وبهامشه نظم العمل الفاسي لسيدي

عبد الرحمان الفاسي، طبعة حجرية، مطبعة الشرق الوحيدة بمصر، ص: ١٧.

(٢) الحكيم: الدوحة المشبكة، ص: ٧٤.

(٣) الوزان: وصف إفريقيا، ج ١، ص: ١٩٣؛ لوتورنو: فاس في عصر بني مرين، ص: ١٣٣.

(٤) مارمول: إفريقيا، ج ٢، ص: ١٤٨.

والصباغة عند الصباغ والتذهيب في التسفير<sup>(١)</sup>، في حين يلتزم الزبناء لهم بتوفير المواد الأساسية التي ستنجز الصنعة عليها كالأثواب والملابس والكتب مع دفعهم للأجور المتعارف عليها أو المحددة بينهما.

وقدم الحرفيون أيضا خدماتهم للزبناء مقابل أجور، حيث كان الجمالون ينقلون البضائع والسلع للناس، كما توسط الدلالون في بيع متوجات عدة بأسواق المدينة، وقد وصل الأجر المدفوع لهم بينهم نصف درهم ودرهم في كل عشرة دراهم أو فلس عن كل درهم<sup>(٢)</sup>.

ومن الأعمال الحرفية التي كانت أجورها بسيطة حمل الدقيق إلى ديار الناس ونقل الرمل من خارج المدينة إلى داخلها، ومداداة فئة من الناس بطرق بسيطة كرد الفك للمفكوكين، وغسل الثياب للناس في ديارهم أو في دكاكين خاصة بذلك. وهذه حرف أقبل عليها المتقلون إلى فاس من تلمسان عقب سقوط هذه الأخيرة في يد بني مرين<sup>(٣)</sup>.

اللباس الحرفي:

ثبت أنه كان من عادة أعضاء الطوائف الحرفية ارتداء لباس موحد عند القيام بالأعمال، تتيح لهم العمل بشكل سلس وتميزهم عن غيرهم من الناس. ولهذا الأمر أهميته الخاصة بالنسبة للحرفيين الذين يخاطون عامة الناس عند قيامهم بالعمل الحرفي مثل الدلالين والجمالين. إذ كان هؤلاء -أي الجمالين- يرتدون ثيابا

(١) مجموع أوله شرح منظومة العمل الفاسي، ص: ٥٢-٥٣؛ الونشريسي: المعيار، ج ٨، ص: ٣٤٣.

(٢) ابن هلال: الدر الثبر، ص: ١٤٠؛ ابن القاضي: الجذوة، ١، ص: ٤٥-٤٦؛ مارمول: إفريقيا،

ج ٢، ص: ١٤٩.

(٣) ابن الأحمر: روضة النرين، ص: ٦٦، ٧٠، ٧١.

قصيرة ذات لون واحد، ويلبسون خارج أوقات العمل ما يشاؤون<sup>(١)</sup>. إلا أن ذلك لا يحتمل التزام كل أعضاء الطوائف الحرفية بارتداء لباس خاص بالعمل، وتحديدًا الحرف التي قلَّ عدد أعضائها أو كانوا غير مجتمعين في مكان واحد، أو الذين يقومون بأعمال يمكن معها الاقتصار على اللباس الذي يرتدونه خارج العمل.

### التسيير في الحرف:

كان الأمناء<sup>(٢)</sup> هم من يترأس الطوائف الحرفية. وقد أهلهم لتولي ذلك خبرتهم في الصنعة، ومكانتهم في أوساط الحرفيين، وقبولهم كممثلين من طرف المؤسسات المسؤولة وخاصة الحسبة.

وتولى الأمناء مسؤوليات فنية أو تقنية وإدارية، فقد أفادوا المحتسب في التعرف على أسرار الحرف التي تمكنه من مراقبة الأعمال الحرفية، كما كانوا طرفًا وسيطًا بين فئة الحرفيين ومؤسسة المخزن عن طريق الإشراف على جمع الضرائب والهدايا، وإنجاز الأعمال المجانية الموجهة لفائدة الدولة، إضافة إلى تسيير مراحيب الأسواق، وتمهيد إجراء الأحكام القضائية، ومثل الأمناء كذلك طرفًا وسيطًا في حل النزاعات الطارئة، في حين تعرض القضايا العالقة على المؤسسات المختصة<sup>(٣)</sup>.

(١) الوزان: المصدر السابق، ج ١، ص: ١٨٥.

(٢) ذكر لوتورنو أن الشيوخ مثلوا مع الأمناء مسؤولي الطوائف، لكن الأمناء هم الذين برزت أدوارهم كممثلين لها حسب ما ورد في مصادر أخرى، للاطلاع على ذلك يتم الرجوع إلى لوتورنو: فاس في عصر بني مرين، ص: ١٤٦-١٤٧؛ الوزان: وصف إفريقيا، ج ١، ص: ١٨٥-١٩١؛ ابن مرزوق: المسند الصحيح، ص: ١٩٤.

(٣) لوتورنو: المرجع السابق، ص ص: ١٤٣-١٤٤.

## . الاستفتاء في قضايا الحرف:

لقد استفتي الفقهاء للنظر في القضايا التي يطرح حولها غموض أو تثار فيها خلافات ونزاعات، كانت للعديد منها علاقة بالنشاط الحرفي، فقدمت بشأنها أجوبة وتوضيحات اعتمادا على ما هو شرعي بالرجوع إلى الكتاب والسنة وسيرة الصحابة والسلف الصالح واجتهادات ذوي التخصص فيها. وقد شهدت مجالس الفقهاء سواء بفاس أو بالمدن الإسلامية الأخرى طرح أسئلة من هذا القبيل والرد عليها بأجوبة كلما كان ذلك متاحا، وكانت الأسئلة تتوافد على الفقهاء من مدن وبلدان خارجية، كما كان فقهاء فاس بدورهم يستفتون فقهاء بمدن إسلامية أخرى في القضايا العالقة والشائكة. ولذلك لم تكن الحدود بين البلدان معتبرة في الاستفتاء بحكم مبادئ الدين الإسلامي الموحدّة وتشابه النوازل الطارئة. وكتب الفتاوى والنوازل مثل المعيار المعرب، والدر النثير، والإعلان في أحكام البنيان، غنية بالأسئلة التي كانت ترد على الفقهاء وأجوبتهم عنها.

عرفت مجالس الفصل بين المتنازعين بالجوامع عرض قضايا على القضاة قصد النظر فيها، الذين يصدرون الأحكام حدا للخلافات، وتطبيقا لما هو مشروع باحتكام القاضي إلى الأصلين (القرآن والسنة) واعتماده الاجتهاد والقياس. إذ كان المتنازعون يتوافدون على القضاة بتلك المجالس ويعرضون عليهم قضاياهم، وقد كان جامع القرويين<sup>(١)</sup>، بحكم تواجده في مركز المدينة، يمثل مركزا قضائيا يحل النزاعات منها ما ترتبط بالعمل الحرفي والصناعي.

(١) احتضن هذا الجامع مجالس الفصل لقضاة منهم القاضي أبو عبد الرحمن محمد المليبي حسبما أورد ابن

وكانت الأحكام القضائية تنفذ من طرف صاحب الشرطة أو المحتسب الذي كان في بعض الفترات يجمع بين الخططين.

. العمل الحرفي عند أهل الذمة:

مارس الذميون مسيحيون ويهودا أعمالا حرفية بفاس وفق تنظيمات خاصة بهم. فقد منحهم سلاطين دولة بني مرين حقوقا في القيام بالحرف التي هم على دراية بتقنياتها وطرقها، مع التزامهم بأداء الحقوق المالية للدولة، وعدم إذاية المسلمين عند القيام بها. وأنشطة المسيحيين كانت أقل حجما وأهمية من التي قام بها اليهود بفاس في الفترة المدروسة.

واشتغلت العناصر المسيحية في أنشطة مخزنية كتصنيع الأسلحة. ومارس بعض هاته العناصر حرفا بالمدينة العتيقة مثل قصر الخيوط ونشر الخشب<sup>(١)</sup>.

وفي ارتباط مع حرف الطوائف الخاصة في المدينة العتيقة مارس المسيحيون حرفا توصف بالبسيطة والوضيعة، عملوا تحت إمرة أرباب الطوائف من المسلمين، وذلك بحكم وضعية المسيحيين كأسرى يبدو أن ملوك بني وطاس سلموهم لأرباب الحرف الخاصة كي ينجزوا لهم أعمالا حرفية، أو أنهم كانوا عبيدا امتلكهم هؤلاء فشغلوهم في الحرف التي يختصون فيها.

وعلى عكس حرف المسيحيين، كانت حرف اليهود بفاس، متميزة مثلوا بها تنظيما طائفيًا كان يضاهي تنظيم طوائف المسلمين. حيث استقر اليهود في المدينة العتيقة قبل الفترة المرينية. وعند تأسيس الدولة لفاس الجديد، أصدر السلطان قرارا بترحيلهم إلى فاس الجديد، بغرض رفع ضرر المسلمين عنهم، نتيجة ما حدث بين

(١) - الوزان: وصف إفريقيا، ص ١٩٣.

الطائفتين من مناوشات وتصادمات، لكن اليهود تأخروا في الانتقال إلى الملاح بفاس الجديد، ولعل ذلك ارتبط بالأنشطة التي كانوا يقومون بها في المدينة العتيقة، وما كانت تذرهم عليهم من مردود مالي مهم، إذ كان سوق القيصارية الموجود قرب جامع القرويين أهم مجال لأعمالهم، فالإشارة واردة إلى إخراجهم من هذا السوق بأمر من السلطان أبي يوسف يعقوب (٦٥٦ - ٦٨٥ هـ)<sup>(١)</sup>. ويرجح أن يكون أمر الإخراج هذا مرتبط بغش وتدليس اتهموا بممارسته. ورغم ذلك استمروا في القيام بأعمالهم بالمدينة العتيقة والسكن فيها. إذ تأخروا في نقل سكنهم إلى فاس الجديد حتى بعد ممارستهم للأعمال الحرفية هناك.

فبعد إخراج اليهود من القيصارية أصبحوا أكثر ميلا لممارسة الحرف بفاس الجديد، إذ اشتغلوا في البداية بصرف النقود<sup>(٢)</sup>، ثم زاوجوا بينها وبين صياغة الحلي. وهما نشاطان أصبحا ينالا اهتمام اليهود بفاس، وكانت الدكاكين القريبة من دار السكة مجالا لممارسة النشاطين، يصوغون فيها الحلي أمام أعين الناس ويتولى أمينهم طبعها ثم توجه للمدينة العتيقة قصد بيعها. إلا أن اليهود اتهموا بممارسة الغش والتدليس في هذه الحرف، بل إنهم اتهموا كذلك بإلحاق الضرر بدار السكة<sup>(٣)</sup> نتيجة تزويرهم للنقود التي يصرفونها للناس. حيث كانت الطوابع الخارجية التي تضرب على النقود المغشوشة مصدرها الطوابع التي يضرب بها أمين الصائغين على الحلي المصوغة. وهو الأمر الذي كان سلاطين الدولة يعملون على محاربه بتكليف لناظر

(١) Mercedes garcia-arrenal:the revolution of fas in 869/1465 and the death of sultan Abd al- -- (١)

haqq al-marini, reprinted from the bulletin of the school of oriental and African studies, university of London, vol XII part 1, 1978, p59.

(٢) - مجهول: ذكر قصة المهاجرين المسلمون بالبلدين، ص ٤٣٥.

(٣) - الحكيم: الدوحة المشتبكة، ص ٩٤ - ٩٥.

السكة بمراقبة ما يصنعونه<sup>(١)</sup>.

لكن ضعف الدولة في نهاية العصر المريني وطيلة العصر الوطاسي صحبته عودة لممارسة اليهود للحرف التي اهتموا بالغش والدلسة فيها، بل إن وضعهم الاقتصادي أصبح أفضل مما كانوا عليه، مستغلين ضعف الدولة من جهة، والمناصب السياسية والإدارية التي مارسها بعضهم، فسلمت لهم بعض المرافق الصناعية بفاس الجديد مثل دار الصناعة<sup>(٢)</sup>، وتمكنوا من إعادة الدخول إلى القيصارية وامتلاكهم للمحلات والأنشطة فيها، وخروج تدريجي للمسلمين منها<sup>(٣)</sup>.

واشتغل اليهود أيضا بحرف غير نفيسة سواء أثناء عزلهم عن الحرف التي سبقت الإشارة إليها أو موازاة مع ممارستها لها. لذلك عملوا في حرف تلقى إقبالا من طرف النساء أو تتيح لهم الاتصال مع شرائح الناس أو توفر لهم مداخيل يشتركون ما يحتاجونه بواسطتها فصنعوا القناديل والأمشاط وعملوا في خياطة الأقمشة والملابس النسوية، ونسجوا العقد والقيطان والسفيفة، وطرزوا القفاطين بالصقلي، كما اشتغلوا بحرف غذائية مثل قلي الفلفل وغمسه في الخل وتحميضه مع الباذنجان والجزر<sup>(٤)</sup>

وكان اليهود على اطلاع بحرف التطبيب عاجلوا بواسطتها المرضى من اليهود أو المسيحيين، في حين وجدوا تحفظا ورفضاً من المسلمين. لدرجة قال أحد

(١) - نفسه، ص ص ١٣٦ - ١٣٧.

(٢) - مارمول: إفريقيا، ج ٢، ص ١٥٧.

(٣) مجهول: البلدين ص ٤٣٦.

(٤) - لوتورنو: فاس في عصر بني مرين، ص ١٣٩، ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، ص.....  
بنشقرن: مظاهر الثقافة المغربية، دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني، دار الثقافة، الدار

البيضاء ١٤٠٦ / ١٩٨٥، ص ٤٢.

الناظرين في ذلك<sup>(١)</sup>.

### رُبَّ يهوديٍّ أتى مُتطَبِّباً ليأخذ ثاراتِ اليهودِ من الناسِ

كان يهود فاس حريصين على ممارسة الحرف ذات المردودية المالية الوفيرة، وحاولوا استغلال نفوذهم السياسي والاقتصادي في خدمة طائفهم. وأعطتهم الدولة حق تنظيم أعمالهم الحرفية، نظرا للخصائص الدينية والاجتماعية التي تبرر ممارستهم لأنشطة اقتصادية خاصة بهم.

مكنت الأدوات والوسائل التنظيمية المذكورة من المحافظة على نشاط العمل الحرفي، وضمان استمراريته، والمساهمة في إزالة العراقيل والصعوبات التي كانت تعترضه والمحافظة على جودة المصنوعات ومردوديتها بالنسبة للحرفيين الذين مكنهم تنظيم أعمالهم من مد الجسور الاجتماعية فيما بينهم، فتعدت علاقاتهم نشاطهم المهني لتشمل الاجتماعي أيضا، وأفادوا بذلك أسرهم وبقية أفراد المجتمع.

(١) - المقرئ: نفع الطيب، ج ٥، ص ٥٣٢.

## المطلب الثاني

### البعد الاجتماعي للطوائف الحرفية

نتيجة كثرة أصناف الحرف والصناعات التي احتضنها النسيج الحضري لمدينة فاس، وارتفاع عدد العاملين فيها، وتنظيم أعمالها، كانت فئة الحرفيين مميزة ضمن فئات المجتمع ككل. فقد ذكر لوتورنو أن مدينة فاس نشطت فيها ١٥٠ هيئة صناعية في عهد أبي الحسن وأبي عنان<sup>(١)</sup> المرينيين؛ والراجح أن هذا العدد لم يتراجع بشكل كبير قبل وبعد العهد المذكور. واضطراب الأوضاع العامة للبلاد بعد وفاة أبي عنان، لا يلغي حرفا قائمة الذات، بالقدر الذي تضعف حركتها ويقل عدد العاملين فيها. ومع ذلك ظل عدد العاملين في الحرف مرتفعا، إذ أورد الوزان الذي تحدث عن وضعية فاس في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، أن كل من صناعتي النسيج وطحن الحبوب شغلت ٢٠ ألف عامل<sup>(٢)</sup>، وهو مؤشر دال على ارتفاع عدد الحرفيين بالنظر إلى مجموع الساكنة الفاسية آنذاك. ولذلك فكثرة الأصناف والعاملين المصحوبة بتنظيم العمل الحرفي، كانت لها آثار في المجتمع الذي مال أفراداه لممارسة الحرف، أو تقديرها، أو حت الناس على الانخراط فيها، مما شجع الحرفيين ودفعهم إلى الاعتزاز بحرفهم وحبهم للعمل فيها. لكن رغم ذلك فالتمايز ظل حاصلًا بين أصناف الحرف حسب طبيعة المواد المستخدمة فيها، ومردوديتها، وقيمتها. وهذا الأمر طبيعي ما دام لا يصحبه احتقار حرف مقابل الرفع من أخرى حرص الفقهاء والعلماء على نبذه وتشجيع العمل الذي يعتبر كسبه وطلبه حلالا لا

(١) لوتورنو: فاس في عصر بني مرين، ص: ١٢٧.

(٢) الوزان: وصف إفريقيا، ج ١، ص: ١٩٣.

شبهة فيه.

### ١- المكانة الاجتماعية للحرفيين:

ساهمت مجموعة من العناصر في تحسين صورة الحرفيين في أعين المجتمع، منها مشروعية عملهم، ونوعية الممارسين له، وأهمية المكان الذي تمارس فيه الحرفة، وطبيعة المنتج الحرفي...

وعموما كانت كل الحرف مقدره ومحترمة من طرف أفراد المجتمع، مادامت محافظة على مشروعيتها، ومبتعدة عن السقوط في الحرام والربا. لكن بعضها لقي إقبالا وتفضيلا مقارنة مع البعض الآخر، حسب شرف المنتج أو المكان أو هما معا، ومدى تقرب الملوك لأرباب بعض الحرف. وخفف الفقهاء والعلماء وما شابههم من النظرة الدونية لبعض الحرف بممارستهم لها.

### - رمزية شيوخ الطوائف:

إن مفهوم «الشيخ» في الحرفة كان يدل على الذي يلقن التقنيات والمهارات الحرفية لمن تحت مسؤوليته من العاملين معه، لكن هذا مفهوم دل أيضا على الشخص الذي يقتدي به الحرفيون أثناء ممارستهم لحرفة ما. والشيوخ المفضلون في الحرف هم من اتصفوا بالتقوى والورع والاستقامة والمعرفة بالعلم والفق، وبذلك مثل الحرفيون الذين توفرت فيهم تلك الصفات شيوخا يقتدى بهم من طرف أعضاء الطوائف التي انتموا إليها. والأهم من ذلك هو أن رمزية بعض شيوخ الطوائف لم تنته بوفاتهم، بل ظلت سارية المفعول بعد مماتهم إلى الحد الذي استدعى إقامة مواسم سنوية لبعضهم يحضرها عامة الناس، تقام خلالها أعرافا وتقاليد خاصة بالحرف التي مارسوها، مما أعطى دفعة للطوائف الحرفية التي انتمى إليها الشيوخ

المحتفى بهم.

فقد اتخذت طائفة الخياطين بفاس الفقيه أبا جيدة بن أحمد اليازغي (ت ٣٦١هـ/ ٩٧١م) المدفون خارج باب بني مسافر، الذي أصبح ينعت بباب سيدي أبي جيدة في إشارة إلى مكانته وأهمية الحرفة التي مارسها وأصبح رمزها. واتخذ الفخارون أيضا الشيخ سيدي مومن رمزا لطائفتهم وهو المدفون بالفخارين بباب الفتوح داخل السور، أشار لوتورنو أن أهل فاس كانوا لا يعرفون عنه شيئا. أما الإسكافيون فاتخذوا الفقيه محمد بن عباد (ت ٧٩٢هـ/ ١٣٩١م) شيخا لطائفتهم، وهو فقيه أندلسي انتقل إلى فاس وعاش بها إلى أن توفي، وقد كان إماما وخطيبا بجامع القرويين بيدي النصح للملوك. ومثل الشيخ سيدي علي بوغالب الصاروي اليازغي زعيما لطائفة الحجامين، أشار ابن الأحمر أن وفاته وافقت أواسط المائة الثامنة بفاس، ولا زال ضريحه مشهودا بباب الفتوح بحومة صاروة قريبا من سوق الجزائرين الذي اندثر لاحقا، كانت تقام فيه حفلات سنوية ترافقها عمليات ختان الأطفال<sup>(١)</sup>.

وبذلك كان هؤلاء الشيوخ دافعا للناس قصد الانخراط في الحرف التي كانوا رموزا لها، وتقدير العاملين فيها. وكانت الأضرحة التي دفن فيها رموز الحرف مكانا يتوافد عليه الناس سواء في أوقات المواسم أو خارجها تقديرا واحتراما للحرف التي مارسوها.

(١) لوتورنو: فاس قبل الحماية، ج ١، ص: ٤٤١؛ نفسه: فاس في عصر بني مرين، ص: ١٤٤؛ ابن الأحمر وآخرون: بيوتات فاس الكبرى، ص: ٤٢؛ ابن منصور، عبد الوهاب: أعلام المغرب العربي، ج ١، ص: ٣٠١-٣٠٢؛ بوغالب معلمة المغرب، ج ٦، ص: ١٨١٧.

## - مواقف الفقهاء والعلماء من الحرف:

اجتمعت آراء الفقهاء والعلماء على إيجابية العمل الحرفي بالنسبة للمجتمع، من خلال خدمته لأفراده بتوفير حاجياتهم، وبالنسبة للحرفي الذي يقوم بالواجب المأمور به وهو العمل والكسب الحلال قصد تلبية حاجيات العيش له ولأسرته.

وفضل كثير من الفقهاء والعلماء الحرف البسيطة بغرض الحصول على ما يتعيشون به منها، إذ كانوا لا يميلون إلى القيام بالحرف ذات المردود المالي الكبير، الذي يعد سببا في التهافت على الأمور الدنيوية والاشتغال بها عن الأمور الدينية التي كانت ضامنة للورع والتقوى والتقرب من الله تعالى. ولذلك كان الفقيه الخطيب بجامع القرويين عبد الله بن محمد بن معطي العبدوسي المتوفى سنة ٤٤٨ هـ أو ٤٤٩ هـ / ١٠٥٧ أو ١٠٥٨ م «يعمل الخوص ويعطيه لرجل لا يعرف أنها له يبيعهها ليتقوت بها في رمضان»<sup>(١)</sup>. وهو بذلك فضل العمل بيده، والقيام بحرفة توفر له قوت يومه، رغم أن منصبه كان يتيح له العمل بأجرة تغنيه عن ذلك. كما كان الفقيه أبو علي الرجراجي وهو من أهل القرن ٨ هـ / ١٤ م يتعيش من حيك البرانس بيده في بعض الأوقات، وكانت له مكانة إذ يقوم بزيارة السلطان ويأمره فيأتمر<sup>(٢)</sup>.

كما مارس بعض الفقهاء والعلماء حرفا نبيلة، مثل أسرة الفقيه السلاجبي (٧٦١ هـ / ١٣٦٠ م) مؤسس علم أصول الدين بفاس، الذي كان له أبناء أطباء أصوليون بالمدينة<sup>(٣)</sup>.

(١) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج ٢، ص: ٤٢٥.

(٢) مفتاح: التيار الصوفي، ج ١، ص: ١٩٤.

(٣) ابن الأحرر وآخرون: بيوتات فاس، ص: ٤٥؛ محمد بن عبد القادر الفاسي: مشاهير أهل فاس، طبعة

حجرية، ص: ٧.

لذلك فمواقف الفقهاء والعلماء من الحرف آراء وممارسة اعتبرت دعوة لبقية أفراد المجتمع قصد الإقبال على الحرف والانخراط في أعمالها دون تمييز بين أصنافها مادامت تعتبر سببا في طلب معيشة الفرد مما هو مشروع.

ومثلما شجع الفقهاء الناس على انتحال الحرف، دافعوا عن عدم إذابتها للسكان، بحكم مسؤولياتهم في الاستفتاء والقضاء والحسبة... إذ كانوا يأملون برفع ضرر بعض الأنشطة الصناعية عن السكان<sup>(١)</sup> مثل دور الفخارين التي كانت تنفث أفرانها الأدخنة، ودور الدباغة التي اعتبرت مصدرا لانبعاث الروائح الكريهة، ودوي المطاحن الذي يزعج الساكنين بجوارها. حيث كان أرباب هذه الصناعات عند ثبوت الضرر ينقلون أنشطتهم إلى أطراف المدينة بعيدا عن الأحياء السكنية. واحتضان أطراف المدينة لأنشطة صناعية لا ينقص من قيمتها مادامت المصلحة العامة هي التي استدعت ذلك.

### - أسماء الأماكن والأعلام المشتقة من الحرف:

اشتقت أسماء الأماكن التي احتضنت الأشغال الحرفية من أسماء الحرف التي كانت تمارس فيها. كما تعددت أنواع الألقاب التي كانت تلحق بأسماء الأفراد، تميزهم عن غيرهم عند دعوتهم بها. فمنها ما اشتق من الأصل العرقي، ومنها ما استنبط من الأصل الجغرافي، لكن أشخاصا كثيرين اتخذوا ألقابا لها ارتباط بالحرف التي مارسوها أو مارسها أحد أسلافهم وأقاربهم. كما نُعتت أماكن معينة داخل

(١) أصدر الفقهاء عدة فتاوى حول رفع الضرر عن السكان من مدن إسلامية عدة منها فاس، رجعوا فيها إلى القرآن والحديث النبوي واجتهادات أئمة المذهب المالكي، للاطلاع على ذلك يمكن الرجوع إلى الونشريسي: المعيار المغرب، ج ٨، ص: ٤٤٦، ٤٥٧ وج ٩، ص: ٥٩-٦٠؛ ابن الرامي: الإعلان في أحكام البنيان، مخطوط ب خ ع، تحت رقم ٦٦٨ د، ورقتين ١٠-١١.

مدينة فاس بأسماء الحرف التي مورست أو سبقت ممارستها بها، أو قطنها أشخاص يمارسون حرفة ما.

واشتقاق أسماء الأماكن والأشخاص من الحرف يعد دليلا على تأثير النشاط الحرفي وامتداداته في أوساط المجتمع.

فبالنسبة لأسماء الأماكن لا يستدعي الأمر إعادة ذكر أسماء الأسواق الحرفية والتجارية التي عرفت بأسماء الحرف القائمة فيها، والتي تعرض فيها المتوجات الحرفية، إذ تم تناولها في مواقع متعددة من هذا البحث. والجدير بالذكر أن بعض الأماكن نعتت بأسماء حرف دون أن تكون مجالا لممارستها أو عرض موادها منها حومة الكفادين<sup>(١)</sup>. وسبب هذه التسمية غير واضح، عكس مكان ديار القبابين داخل باب الفتوح أيضا بحومة الجيزين التي تنتهي بباب يدعى بالاسم نفسه ويعرف بباب الحمراء كذلك أحد أبواب المدينة. فاسم الديار المذكورة -أي القبابين- اشتق من صناعة القباب. غير أن المصادر التاريخية أشارت إلى أن القبابين الذين قطنوا تلك الديار ليسوا من أقارب الفقيه القاضي أحمد القباب المتوفى سنة ٧٧٧ أو ٧٧٨هـ / ١٣٧٦ أو ١٣٧٧م<sup>(٢)</sup> الذي سأذكره ضمن الأعلام الملقين بأسماء الحرف.

وعموما يمكن القول أن الحرف فرضت نفسها في نعت الأماكن بفاس حتى في أشرفها كتلك التي وُجِدَت حول جامع القرويين<sup>(٣)</sup> مثل العطارين والشماعين والخرازين والكتبيين والصفارين وغيرهم.

(١) ابن الأحرر وآخرون: المصدر السابق، ص: ٦٥-٦٦.

(٢) نفسه، ص: ٤٤؛ ابن القاضي: درة الحجال، ج ١، ص: ٤٧-٤٨.

(٣) الوزان: وصف إفريقيا، ج ١، ص: ١٨٤.

أما بالنسبة لأسماء الحرف التي تلقب بها الأشخاص فهي كثيرة، عرفت مختلف البلدان الإسلامية. وقد دعت إليها الممارسة اليومية للحرفة من قبل أصحابها، وسهولة التعرف على الأفراد عند نعتهم بحرفهم، وتلافي الاختلاط الذي يحصل نتيجة تشابه الأسماء وتداخلها. والمصادر التاريخية، وخاصة كتب التراجم والفهارس، تحتوي على أسماء كثيرة مشتقة من الحرف، لا تحصر كل الذين دعوا بها، لكنها تحصر نخبة المجتمع من فقهاء وعلماء وقضاة... تركت بصماتها في أوساط مدينة فاس وغيرها من المدن والأمصار. فقد توارث الناس أسماء الحرف عن أسلافهم كما ورثها عنهم أعقابهم مما جعل فئة الملقبين بأسماء الحرف تزداد انتشارا مع توالي الأزمان.

وفيما يلي جدول بلائحة الأعلام الملقبين بأسماء الحرف حسب ما ورد بالمصادر

التاريخية :

المصادر والمراجع	الحرفة التي اشتق منها اللقب	الاسم واللقب
العبر، ج ٧، ص: ٢٣٠	الحياكة	أبو عبد الله بن الحباك (كان حيا سنة ٦٧٤هـ/١٢٧٦م)
العبر، ج ٧، ص: ٢٣٠	صناعة القطن	أبو الحسن بن القطان (كان حيا سنة ٦٧٤هـ/١٢٧٦م)
التيار الصوفي، ج ١، ص: ١٩٣	تحويل الحلفاء	أبو عبد الله محمد بن موسى الحلفاوي (ت ٧٥٨هـ/١٣٥٨م)

المصادر والمراجع	الحرفة التي اشتق منها اللقب	الاسم واللقب
التيار الصوفي، ج ١، ص: ١٩٤.	صناعة النحاس	أبو عبد الله الصفار (عاصر السلطان أبي عنان)
الإحاطة، ج ١، ص: ١٨٧؛ درة المجال، ج ١، ص ص: ٤٧-٤٨	صناعة القباب	أبو العباس أحمد بن القاسم القباب (ت ٧٧٧ أو ٧٧٨ هـ/ ١٣٧٦ أو ١٣٧٧ م)
نثر الجمان، ص: ٤٢٧	قصر الخيوط	أبو الحسن علي بن محمد بن عمر الصنهاجي القصار
نثر الجمان، ص: ٤٦٠	الحياكة	أبو محمد بن علي الفهار المشهور بالحياك
نثر الجمان، ص: ٤٣٢	صناعة نير المكحلات والبنادق	أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم بن موسى الكومي المعروف بالنيار
نثر الجمان، ص: ٣٩٨	الدباغة	أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله محمد الأنصاري الخرزجي الشهير بالدباغ

المصادر والمراجع	الحرفة التي اشتق منها اللقب	الاسم واللقب
فهرس ابن غازي، ص: ٦٥	صناعة الخلفاء	أبو راشد يعقوب الخلفاوي (ق٩٩هـ/١٥م)
فهرس ابن غازي، ص: ٨٥	صناعة الفخار	أبو عبد الله الفخار (ق٩٩هـ/١٥م)
فهرس ابن غازي، ص: ١١٣	صناعة السروج	أبو القاسم محمد بن يحيى السراج (ت٨٩٤هـ/١٤٩٠م)
المنوني، أبحاث مختارة، ص: ١٨٩.	صناعة الكاغد	علي بن أحمد الحسيني السبتي الشهير بالكغاد (توفي بفاس عام ٨٣٩هـ/١٣٤٦م)

#### - تقرب السلاطين للحرفيين:

حظيت فئة الحرفيين بتقدير من سلاطين الدولة، الذين حرصوا على الاستفادة من الأعمال الحرفية في عدة تخصصات تلقوا من خلالها خدمات الحرفيين بإنجاز مشاريعهم، وتحقيق حاجياتهم وأغراضهم وأغراض أهلهم وذوهم وحاشيتهم. وكانت فئة الحرفيين ممثلة في أرباب الصنائع والحرف، تحضر الاستقبالات والاستعراضات التي تخصص للسلاطين، مما يعد دلالة على المكانة الاجتماعية التي

احتلتها ضمن فئات المجتمع الأخرى.

إن السلطان يعقوب بن عبد الحق الذي هو من أوائل سلاطين الدولة المرينية، عند تأسيسه لفاس الجديد سنة ٦٧٤هـ/ ١٢٧٦م كان معه «العرفاء والبنائون وأهل المعرفة بالصنائع»<sup>(١)</sup> فقاموا بأعمال التخطيط والهندسة لأحياء هذه المدينة وأعطوا الانطلاقة لأشغال البناء بها. وبعد ذلك قام السلطان المذكور بـ «جمع الأيدي عليها، وحشد الصناع والفعلة لبنائها»<sup>(٢)</sup>. ويبرز النصان السابقان دور الصناع والحرفيين في تأسيس وبناء مدينة فاس الجديد، فالنص الأول يتحدث عن صحبة يعقوب بن عبد الحق ذوي الخبرة من الصناع قصد تحديد الأماكن التي شيدت بها المعالم العامة مثل القصر السلطاني والمسجد الجامع والأسواق والأسوار والأبواب إضافة إلى الشروع في حفر أساساتها. في حين يشير النص الثاني إلى بناء المعالم المذكورة وما تبعها من إنشاء مباني خاصة بالرعية. ولذلك استفاد سلاطين الدولة من خدمة المختصين في أعمال البناء ليس في فاس الجديد بل في فاس العتيق أيضا.

وقرب ملوك الدولة أيضا الصناع المختصين في عمل الأسلحة المتميزة كالتي دخل الذهب والفضة في تصنيعها، إذ اتخذ السلطان أبو الحسن المريني منها ما جوزه له العلماء، وترك ما اختلفوا حول مشروعيته<sup>(٣)</sup>.

وأردف ابن خلدون القول، بأن الطب والوراثة تعدان من الحرف الشريفة. لذلك كانت حسبه داعية إلى «مخالطة الملوك الأعظم في خلواتهم ومجالس أنسهم،

(١) ابن أبي زرع: الذخيرة السنية، ص: ١٦١.

(٢) ابن خلدون: العبر، ج ٧، ص: ٢٣٠.

(٣) ابن مرزوق: المسند، ص: ١٣١.

فلها بذلك شرف ليس لغيرها»<sup>(١)</sup>.

كما توافد على سلاطين الدولة المرينية أطباء مختصون استفادوا من مهاراتهم، وتولى بعضهم مناصب لتسيير شؤون الدولة. فمن الأندلسيين نجد غالب بن علي بن محمد اللخمي الذي خدم السلطان أبي سعيد عثمان وولاه الحسبة<sup>(٢)</sup>، وأحمد بن محمد بن يوسف الأنصاري الحبالي الذي قرأ الطب بغرناطة على يد أبي زكرياء بن هذيل، وكان له بصير بمنتحلات أخرى تعلق بموجبها بأديال الدول<sup>(٣)</sup>، فانتقل إلى فاس، وخدم ملكها، لكنه غرب عنها بسبب ما شهدته من صراع على الحكم في أواخر عام ٧٦٣هـ / ١٣٦١م.

واشترط السلطان أبو الحسن المريني في تطيب اليهود له إسلامهم، حيث لم يقبل الأدوية التي وصفوها له، إلا بعد إجماع أطبائه عليها. فلما كان بحضرة تلمسان وبسبب مرضه استدعي يهودي ماهر من فاس صنع له مرهما تعف عن قبوله<sup>(٤)</sup>.

ونظرا لمكانة السلاطين في الدولة فقد كان لكل واحد منهم أطباء خاصون بهم، نالوا عنده حظوة يستفيد من خدماتهم، سواء كان ذلك في فترات قوة الدولة أو ضعفها.

وعن الوراق، اضطلع الماهرون فيها بمرتبة متميزة عند الحكام أيضا، فصنعوا لهم ما يحتاجونه من رُق وورق للكتابة، وجلد وخشب للتسفير. فأبو الحسن المريني مثلا بعد استنساخه للمصحف العزيز بيده جمع الوراقين قصد «تذهيبه وتنميته...»

(١) ابن خلدون: العبر، ج ١، ص: ٤٣٢.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة، ج ٤، ص: ٢٤٠.

(٣) نفسه، ج ١، ص: ٢٠٥.

(٤) ابن مرزوق: المصدر السابق، ص: ٣٨١.

ووضع في وعاء من خشب الأبنوس والعاج والصندل وزين بصفائح الذهب والجوهر والياقوت وغير ذلك»<sup>(١)</sup>.

لقد تطلبت حركات السلاطين خارج حضرتهم بفاس، تلقي خدمات حرفيين يتقنون صناعة الأفراق والهوادج والحيام... إذ كان المختصون في عمل الخشب ودهنه بالأصبغ، وخياطة الأثواب وغيرها يحشرون لذلك العمل<sup>(٢)</sup>.

ولم يستغن سلاطين الدولة عن خدمات حرف أخرى مثل الحجامين الذين كانوا يحننون الأطفال الأيتام في يوم عاشوراء من كل سنة<sup>(٣)</sup>، والطباخين الذين يعدون الأطعمة وغيرهم.

لقد حضرت فئة الحرفيين ضمن الفئات الاجتماعية الأخرى الاستقبالات والاستعراضات التي تقام للسلاطين. حيث وصف النميري إحداها حين رجوع أبي عنان من وجهته الشرقية إلى فاس قائلا: «تميز كل صنف من أرباب الصناعات، والحرف الموفرة للبضاعات بأعلام فيها صور الآلات التي يستعملونها خصوصا، ويبدون على الانفراد بشعارها ظواهرها ونصوصها، وتوشح جميعهم بالبياض الرائق، المزري بأقحوان الحدائق، واحتملوا القسي البديعة الحسن وتقلدوا السيوف المعتاص وصفها على اللسن»<sup>(٤)</sup>. وحضور الأصناف الحرفية في مثل هذه المناسبات يعد في حد ذاته تعبيراً عن المكانة التي كانت لها عند الحاكم. وانتظام الحرفيين في طوائف كان

(١) السلامي: وثائق مرينية، ج ٢، ص: ١٣٨؛ ابن خلدون: العبر، ج ٧، ص: ٣١٤.

(٢) عن الأفراق التي صنعت لأبي عنان وما بذلت فيها من صناعات، يمكن الرجوع إلى النميري: فيض العباب، ص ص: ٢٢٨-٢٣١.

(٣) ابن مرزوق: المصدر السابق، ص: ٤٢٠.

(٤) النميري: المصدر السابق، ص: ٤٩٨.

لافتا للأنتظار، ومساهما في تقديرهم من طرف السلطان.

وأثارت الأعمال الحرفية اهتمام الأدباء أيضا، الذين وصفوا بعضها من خلال كلامهم المنشور والمنظوم، معبرين عن قيمة القائمين بها عندهم.

وبصفة عامة نالت الطوائف الحرفية مكانة محترمة لدى نخبة المجتمع من فقهاء وعلما وأدباء وحكام، ولدى عامة الناس أيضا. وساهم اعتزاز الحرفيين بأعمالهم، وانتظامهم في طوائف في تبوئهم تلك المكانة.

## ٢- الأنشطة الاجتماعية للطوائف الحرفية:

ساعد تنظيم الحرفيين لأعمالهم في سهولة تواصلهم اجتماعيا، إذ قاموا بأنشطة موازية لعملهم الحرفي. فقد نظم أعضاء الطائفة الحرفية الواحدة زيارات إلى المتزهات الموجودة في محيط المدينة، كما كانت تهباً ولائم لأعضاء الطائفة بدور الحرفيين في مناسبات اجتماعية مثل زيادة مولود أو زواج، أو غير ذلك. وشاعت بين أعضاء الطائفة الحرفية سلوكات التكافل والتعاون استفادت منها الأسر المتضررة من مصاب مثل وفاة حربي كان يوفر حاجيات عيشها.

والكتابات البيبليوغرافية لم تسرد الأنشطة الاجتماعية لكل الطوائف الحرفية، بل لبعضها فقط مثل الجمالين والغلمان الذين عملوا في الحمامات. لكن ذلك يمكن تعميمه على جل الطوائف الحرفية، بما أنها توفرت فيها نفس الشروط أو أحسن من التي ميزت الطائفتين المذكورتين.

لقد كان من عادة الجمالين أن يلزموا كل شخص جديد تم قبوله للانضمام إلى الطائفة بإقامة وليمة لهم، وفي حالة عدم التزامه بذلك لا يحصل أثناء ممارسة الحرفة

إلا على نصف الأجر الذي يعطى لحرفي مثله. ويعبر ذلك عن مدى تماسك الطائفة واحتكام أعضائها للأعراف المنظمة لهم وخضوع الحرفي لما يتم تقريره. وكان الحمال يستضيف العاملين معه، إذا أقام وليمة بمناسبة زيادة مولود أو حفل زفاف، ويحمل ضيوفه هدايا يقدمونها له. وتجاوز التكافل الاجتماعي أعضاء طائفة الحمالين ليشمل أسرهم وذويهم، إذ أنهم يتكفلون بالأسرة التي مات معيها بالإئناق عليها<sup>(١)</sup>.

وبتكثّل الحمالين وتنظيم صفوفهم استطاعوا أن يحصلوا من الدولة على إعفاء من أداء الضرائب، وطبخ الخبز مجاناً في الأفران<sup>(٢)</sup>، مما ساعدهم في تأمين حاجيات أسرهم.

أما الغلمان الذين استخدموا في الحمامات، فكانوا يقومون عند نهاية كل موسم عمل بحفل «يستدعون له جميع أصحابهم، فيذهبون إلى خارج المدينة مصحوبين بموسيقين ينفخون في النفير والمزمار، وبعد ذلك يقتلعون بصلة زنبق يضعونها في إناء جميل من نحاس، يغطونه بساط صغير حديث العهد بالغسل. ثم يعودون إلى المدينة قاصدين باب الحمام على أصوات العزف، حيث يضعون البصلة في سلة يعلقونها على الباب قائلين: سيكون هذا سبب ازدهار الحمام إذ سيقصده الكثير من الناس»<sup>(٣)</sup>. وهذا النشاط الذي كان من عادة الغلمان المكلفين بتنظيف المستحمين يعبر عن حاجتهم إلى التنزه والترفيه في المواضع التي أحاطت بالمدينة وتميزت بجمال مناظرها. والعادة التي كانوا يقومون بها عقب النزهة تدل على تعلقهم بحرفتهم وأملهم في رفع مداخيلهم بازدياد عدد زيناتهم. ويبدو من خلال النص السابق

(١) الوزان: وصف إفريقيا، ج ١، ص: ١٨٥.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه، ص ص: ٢٣٠-٢٣١.

أيضا أن غلمان كل حمام كانوا منتظمين فيما بينهم، مما أسهم في خلق جو التنافس بينهم في إقامة الأنشطة الاجتماعية الترفيهية.

وما انطبق على غلمان كل حمام حصل بالمسبة للحرفيين الذين اشتغلوا في أماكن متفرقة مثل النساجين والطحانين وغيرهم، حيث كان المكان الذي يعملون فيه يمثل عاملا مشجعا على التحامهم وتعاونهم في معزل عن الذين يختصون في نفس الحرفة لكن يشتغلون بعيدا عنهم.

أما الحرف التي كان أصحابها لا يتظمون في طوائف مثل الحراس ووقادي الجوامع والنساء اللواتي تغزلن الصوف أو تنسجن الأثواب، فكانت ظروف عملهم وعدم وجود مرفق يجمعهم عوامل حاسمة في شبه غياب لأنشطة اجتماعية موازية لأعمالهم.

## المبحث الثاني

### خدمات الحرفيين العامة للمجتمع

اهتم قسم من الأعمال الحرفية بخدمة أفراد المجتمع داخل وحول فاس، وأحيانا القادمين إلى المدينة من جهات بعيدة في الحالات التي يكون فيها الفرد قائما بصفة مؤقتة. ونظرا لكثرة الأعمال ذات الطابع الاجتماعي، والأهمية التي تحظى بها باستهدافها الفئة العريضة من الناس، وتناول بعضها في مواضع سابقة من هذا البحث، سيتم التركيز في هذا المبحث على أهم وأعم الخدمات الاجتماعية التي أنجزتها فئة الحرفيين، مثل العلم والصحة والتغذية والسكن والعناية بالضيوف والأيتام والفقراء وغير ذلك، من خلال رصد الأعمال الحرفية التي خدموا بواسطتها الفئات الاجتماعية لصالح المرتبطة بالياديين المذكورة، سواء بصفة مباشرة أو غير مباشرة.

#### ١- العلم:

خدمت الطاقات الحرفية العلماء والمتعلمين في المساجد والمدارس، من خلال إنجازها لأشغال البناء والزخرفة والإصلاح بالمرافق التي كانت مجالاً لأنشطة علمية، وإبداع من للصناع الذين نسخوا وجمعوا وسفروا الكتب التي ضمتها الخزانات العلمية، وإسعاف الأطباء للعلماء والطلبة، وخدمة النازلين منهم بالبيوت المخصصة لسكنائهم. وكانت المنشآت الصناعية المحبسة على المراكز العلمية<sup>(١)</sup>، تعتبر مورداً مالياً لهذه الأخيرة يساهم في تحقيق أغراضها وحاجيات نزلاتها.

(١) المنوي، محمد: ورقات عن حضارة المرينيين، ص: ١٢٤.

عبرت لوحات التحجيس التي كتبت بالمدارس المشيدة عن الأهداف التي أسست من أجلها، إذ تتمحور حول تدريس القرآن والعلوم الأخرى. فقد ورد بنص وثيقة تحجيس مدرسة المدينة البيضاء بفاس الجديد «إقراء القرآن العظيم وتدرّس العلم»<sup>(١)</sup>. ومن ضمن ما نصت عليه وثيقة تحجيس مدرسة أبي عنان «قصد أيده الله بيناتها وجه الله تعالى في إحياء العلم وتجديد العناية بالمتقول والمفهوم... حبس أيده الله تعالى على هذه المدرسة إرفاقا لطلبة العلم وإرفادا وإعانة لهم على طلبه»<sup>(٢)</sup>. والأهداف ذاتها نصت عليها لوحات تأسيس المدارس والمساجد التي احتضنت أنشطة علمية. ودور الحرفيين في تحقيق تلك الأهداف مثلته أشغالهم المعمارية التي أنجزوها، فمالوا فيها إلى الإبداع والتأنق والعمل التطوعي ابتغاء مرضاة الله تعالى وثوابه ومغفرته.

والبنيات العلمية مثلت أيضا مكانا لإيواء الطلبة، إذ كانت الطوابق العلوية وأحيانا حتى السفلية للمدارس، تضم بيوتا يسكن في كل واحد اثنين أو ثلاثة أفراد. وبنيت بجانب بعض المدارس دور أو فنادق خصصت أيضا لتلك الوظيفة، فقد بني فندق خاص بسكنى الطلبة إلى جوار المدرسة التي تقع غربي جامع الأندلس<sup>(٣)</sup>. وهي مدرسة الصهريج إحدى مدارس عدوة الأندلس. ويعد ذلك تعبيرا عن كثرة عدد الطلبة الذين قطنوا بالمآوي المخصصة لهم. وكان سكنهم فيها مشروطا

(١) ملىح، السعيد: موقف فقهاء فاس من إنشاء المدارس المرينية، مجلة مكناسة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي اسماعيل، مكناس، عدد ١٢، ١٩٩٩، ص: ١٦٥.

(٢) أسكان، الحسين: الإنفاق على التعليم بمدينة فاس بين القرن السادس والثامن الهجري، المدينة في تاريخ المغرب العربي، أشغال ندوة بكلية ابن امسيك II للآداب وع، إ، الدار البيضاء، ١٩٨٨، ص:

٢٤٨.

(٣) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص: ٤١٢.

بالتزامهم بتلقي الدروس، وعدم ممارسة نشاط مخالف لذلك<sup>(١)</sup>. كما كانت تحدد المدة التي يمكن لكل طالب قضاءها ساكنا بالمدرسة تصل ستة عشر سنة، وقد تنقلص إلى عشر سنوات بالنسبة لغير المتفوقين في دراستهم<sup>(٢)</sup>.

وكانت للحرفيين كذلك يد في توفير الكتب والمؤلفات التي أفادت العلماء والمتعلمين في اكتساب المعارف. حيث احتوت مدينة فاس على عدد مهم من الخزانات ضمت أصنافا كثيرة من الكتابات التي تطلبت نسخا وتزويقا وجمعا وتجليدا. وقد مر بنا الحديث عن تلك الخزانات في موضع سابق من هذا البحث<sup>(٣)</sup>، مما مكن العلماء والطلبة من الاطلاع على محتوياتها من الكتب موازاة مع تلقيهم للعلم من أفواه العلماء والفقهاء بالمساجد والمدارس.

وإلى جانب الخزانات العامة احتضنت مدينة فاس خزانات خاصة منها خزانة ابن الغرديس التي أفادت الونشريسي صاحب المعيار المغرب، الذي كان يلقن بني الغرديس - إحدى البيوتات العلمية بفاس - دروسا، وهناك أيضا خزانة الأمير محمد بن عبد القادر الوطاسي التي نسخت لها مجموعة من الكتب من بينها كتاب نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن لأبي بكر محمد بن عزيز السجستاني سنة ٨٦٥هـ/ ١٤٦١م<sup>(٤)</sup>.

(١) أفتى الفقيه العبدوسي مثلا بإخراج أناس كانوا يجزنون السلع في المدارس منها لعدم توافق ذلك مع

أهداف الحُجُس، ورد ذلك عند الونشريسي: المعيار المغرب، ج٧، ص: ٧.

(٢): للمليح: المدارس المرينية ودورها الفكري في المغرب، ص: ٢٥٣.

(٣) الرجوع إلى «الخزانات» في المبحث الثاني من الفصل الثاني بالباب الأول.

(٤) الدباغ، محمد بن عبد العزيز: خزانة القرويين وأثرها في حفظ التراث الإسلامي، أشغال ندوة:

جامعة القرويين وآفاق إشعاعها الديني والثقافي نظمها بيت آل الحبابي، منشورات جامعة القرويين،

الرباط، ١٩٩٦، ص: ١٠٨.

وتلقى الطلبة خدمات حرفية عند قيامهم بنشاطهم العلمي بالمؤسسات العلمية، فقد تم تعيين خدّمة بمدرسة العطارين<sup>(١)</sup> يسهرون على تنظيف وكنس مرافق المدرسة وتقديم العون والمساعدة للطلبة الآوين بها. إلا أن عدم الإشارة إلى هذه الخدمة بمدارس أخرى قد يدل على تحمل الطلبة لأشغال التنظيف وما شابهها.

وكان الطلبة يستشيرون الأطباء في الأمراض التي يصابون بها، حرصا على التحصيل العلمي في ظروف جسمية وعقلية سليمة، إذ نصح الأطباء الطلبة ذوي الذاكرة الضعيفة بأخذ دواء من الأدوية المشاعة وهو «العسل المخلوط باللبن الذي يشرب كل غداة على الريق»<sup>(٢)</sup>.

واستفادت فئة الطلبة من المياه التي كانت تتدفق بالمدارس التي قطنوا ودرسوا فيها، ومن تقديم بعض الأطعمة لهم سواء من طرف المخزن أو الأشخاص الذين يرغبون في مثل هذه الأعمال الإحسانية.

وبالتالي فإن الحرفيين والصنائع قد واكبوا النشاط العلمي بفاس، وقدموا خدمات لهيئة العلماء وتلامذتهم، أحيانا بأمر من السلاطين والمحجّبين وأحيانا أخرى بأمر من العاملين في العلم أنفسهم، مما أدى إلى نشر العلم الذي تلقته شريحة من المتعلمين ستصبح نخبة منها مُعلّمة داخل فاس وبمدن إسلامية أخرى.

## ٢- الصحة:

تظافرت جهود الأطباء والعشابين والصيدالة والحجامين والمرضين في دفع الأمراض عن الإنسان، ووقاية جسمه وعقله مما قد يضره. وبالنظر إلى الفترة المرينية

(١) اكنينج، العربي: العطارين، معلمة المغرب، ١٨م، ص: ٦٠٩٣.

(٢) للبيح: المدارس المرينية، ددع، ص: ٢٥٣.

الوطاسية كانت بعض الأمراض تمثل خطرا محققا بالمجتمع وتهدد كيانه، لسرعة انتشارها وصعوبة التوصل إلى معالجتها. ويعتبر الطاعون في مقدمة الأمراض التي فتكت بالعدد الكبير من السكان في ظل عجز الأطباء عن صناعة أدوية لمحاربهته ووقاية الناس منه. كما كان مرض الجذام خطيرا لكونه معديا. وقد تمت معالجته بعزل المصابين به عن عامة الناس وتقديم العلاج لهم. واحتضن المارستان الذي شيد في قلب المدينة في صدر الدولة المرينية علاج أمراض جسمية وعقلية، كان المصابون بها في حاجة ماسة إلى الرعاية الدائمة من طرف الأطباء والمرضين والمنظفين والطباخين والحراس، وكلهم عملوا تحت مسؤولية الناظر في تلك المؤسسة. وقام الحجامون بعمليات إعدار الأطفال اليتامى بشكل جماعي مرة كل سنة، في إطار العناية التي أولاها ملوك الدولة لهم، بإعطائهم ملابس وتقودا.

### - علاج الجذمي:

إن المقصود بالجذمي المصابون بمرض الجذام، الذي يعتبر من الأمراض الجلدية التي تنتقل عدواها من شخص إلى آخر، وما يطرحه ذلك من سرعة انتشار هذا المرض في أوساط السكان. لذلك كانت أهم وسيلة لعلاجه، منذ الفترة الإدريسية، هي عزل المصابين به في حي خاص أسوة بما تم في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه<sup>(١)</sup>. وقد كانت المناطق الموجودة خارج الأسوار الشرقية للمدينة العتيقة قد احتضنت ربضا خاصا بالمجدومين<sup>(٢)</sup>. وبفعل الفتنة التي نتجت عن الحروب الموحدية المرينية (٦١٧-٦٣٧هـ) وما مثلته من خطر على حياة الأوين بالربض المذكور، تم نقل نزلائه، الذين وصل عددهم حوالي مائتي أسرة، سنة

(١) بن عبد الله: العلوم الكونية والتجريبية في المغرب، ص: ٩٧،

(٢) نفسه، ص: ١٠٣؛ ٢٣٥؛ Massignon: Le Maroc, p: 235

٦٣٦هـ/ ١٢٤٠م<sup>(١)</sup> حسب ماسينيون، إلى خارج باب الشريعة بالجهة الغربية للمدينة العتيقة بين مطامير الزرع وجنة المصارة. حيث سكنوا الأكواخ قرب الوادي وظلوا هناك إلى أن أمر السلطان يعقوب بن عبد الحق أحد معاونيه، أبي العلاء بن العلاء بن أبي قريش، بنقلهم من جديد إلى ناحية باب الجيسة سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦١م<sup>(٢)</sup>.

وبوشرت عمليات علاج الجذمي بإنشاء مستشفى لذلك الغرض لم تقل تجهيزاته عن التي احتوى عليها المارستان المؤسس داخل المدينة<sup>(٣)</sup>. قد استقر فيه جهاز طبي يسعف المجذومين الذين يترددون عليه، بمعائنتهم وتبهيء الصفات الطيبة والنصائح لفائدتهم.

واستقرار الجذمي لمدة طويلة بالجهة الشرقية بظاهر المدينة يُفسر بتجنب هبوب الرياح التي تمر بحيههم على النسيج الحضري داخل الأسوار، وما يطرحه ذلك من أضرار على الساكنة نتيجة ما قد تحمله الرياح معها من روائح وآفات، وهو الأمر الذي يبرر أيضا إعادة نقلهم من خارج باب الشريعة إلى ناحية باب الجيسة.

إن مداواة الجذمي بالطرق التي ذكرت، مكّنت من الحد من انتشار الوباء بفضل إخراجهم من المدينة التي احتضنت ساكنة كثيرة العدد، كما حصّلت بواسطتها معافاة المجذومين بشكل تدريجي. فعدم الإشارة في الكتابات المصدرية إلى إصابة غير المجذومين وعدم تأكيدها على استمرار تطيب الجذمي في الفترات التي تلت

(١) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج ١، ص: ٣٤؛ 235 Massignon: Le Maroc, p:

(٢) الوزان: وصف إفريقيا، ج ١، ص: ١٨٠؛ ابن القاضي: المصدر السابق، ج ١، ص: ٣٤-٣٥.

(٣) الناصري: الاستقصا، ج ٣، ص: ٦٥؛ المتوفى: مؤسسات خيرية وإحسانات مادية، مذكرات من

حكم يعقوب بن عبد الحق وابنه يوسف مؤشرات دالة على محاصرة مرض الجذام والسيطرة عليه.

### - العناية بنزلاء المارستان:

المارستان أو البيمارستان مرفق لعلاج أمراض جسمية وعقلية تم تأسيسه من طرف السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني بعدما تمهد له الحكم واستقام له الأمر. إذ عين له الأطباء لمعالجة المرضى، والطباخين والمنظفين والحراس العاملين تحت إشراف الناظر لخدمة النزلاء هناك. وقد تم تجديد رسم المارستان في عهدي أبي الحسن وأبي عثمان المرينيين<sup>(١)</sup> بتعيين جهاز يشرف على تقديم العلاج والخدمات الأخرى للنزلاء من تنظيف وتغذية وحراسة ومساعدة...

فتجديد الرسم معناه أن السلطان كان يقوم بإعادة تنظيم شؤون المارستان، من خلال ترتيب جهاز جديد يرأسه الناظر الذي يكون بدوره طبيبا، يتولى الإشراف على عمليات العلاج، ويتكلف بتسيير الخدمات التي تتم بالمارستان، من طبخ ونظافة وإقامة. لذلك كان التجديد يمكن من إعادة الفعالية لوظائف المارستان عن طريق تكليف أشخاص جدد يملؤون الثغرات التي تكون قد حصلت بفعل طول الفترة الزمنية التي عمل فيها الذين سبقوهم. وكانت الفترات التي تشهد ترتيبا جديدا للقائمين بالأعمال في المارستان، تتسم باستقرار الأوضاع العامة للدولة وانتعاشها بالشكل الذي يسمح بالنظر في مثل هذه الشؤون ذات الطابع الاجتماعي والإحساني.

مثلّ المعتمهون والمجانين أهم فئة مستهدفة من عمليات العلاج التي حصلت

(١) ابن مرزوق: المسند الصحيح، ص: ٤١٥؛ ابن بطوطة: تحفة النظار، ص: ٦٤٦.

داخل المارستان، فكان الأطباء ينظرون إلى حالهم ويصفون ويعدون لهم الأدوية، يساعدهم في ذلك الممرضون. ويتلقى هذا الصنف من المرضى العلاج ويلتزم بالكوث داخل المارستان وأخذ الدواء هناك والإقامة في غرف خاصة، وأخذ قسط من الراحة بالجلوس في الساحة والحديقة اللتين زينتا الفضاء الداخلي للمارستان. والحراس هم من كان يتولى عدم السماح لهم بمغادرة مكان نزولهم إلا إذا أذن الناظر بذلك. حيث يرافقونهم ويتابعونهم عند إقامتهم في الغرف وأثناء مغادرتهم لها، حرصا على سلامتهم أملا في عافيتهم.

وبالنظر إلى الظروف النفسية للمرضى بالمارستان، تردد عليهم هناك موسيقيون مرة أو مرتين في الأسبوع<sup>(١)</sup>، يقدمون لهم أعمالا فنية وترفيهية هدفها تخفيف الضغط عليهم والمساهمة في علاجهم، وذلك بإذن من الناظر في المارستان.

لم يحتضن البيمارستان المرضى فقط، بل كان يلجأ إليه الغرباء عن المدينة الذين يأذن لهم الناظر بالإقامة هناك لمدة ثلاثة أيام<sup>(٢)</sup>. ونزولهم في هذا المرفق الصحي يفسر بضعف إمكانياتهم المالية التي قد لا تتيح لهم المبيت في الفنادق، ويوقوع المارستان في قلب المدينة مما يسهل على الغرباء اللجوء إليه. كما أن إقامة الغرباء في المارستان تعد تأكيدا على الوظيفة الاجتماعية لهذا الأخير، ومبיתهم به قد يمكنهم أيضا من تناول الطعام هناك إذا كانوا في حاجة إليه.

لقد بني المارستان فوق مساحة كبيرة ضمت الغرف والساحة والمسجد وبيوت الطهارة وغيرها. وهي مرافق بقيت وظائفها قائمة طيلة الفترة المرينية الوطاسية

(١) المنوني: مؤسسات خيرية وإحسانات مادية، مذكرات من التراث المغربي، م ٣، ص: ٧٣.

(٢) نفسه، ص: ٧٢.

ولمدة طويلة بعدها<sup>(١)</sup>. إلا أن وظيفة المارستان تراجعت أهميتها عقب وفاة أبي عنان نظرا لتراجع دور الطب في نهاية الفترة المرينية وطيلة العصر الوطاسي.

وشهدت أنشطة المارستان الصحية تراجعا بعد تقلص إسهامات الأوقاف في تمويلها، وذلك في طور ضعف الدولة الذي شهد بيع ممتلكات الأوقاف بهدف تزويد خزينة الدولة بالموارد المالية<sup>(٢)</sup> بقصد تجاوز الأزمة.

### - إعدار الأطفال اليتامى:

الإعدار مصطلح يدل على ختان كل طفل مسلم وفق السنة النبوية الشريفة، وما لذلك من حرص على صحة وسلامة الشخص المختن. والحجامون هم من تولى عمليات الختان. واعتبارا للوضعية الاجتماعية للأطفال الأيتام، دأب ملوك الدولة على تكليف الحجامين بختانهم وتقديم هدايا لهم تدخل الفرحة على نفوسهم ونفوس ذويهم.

وخلفاء الدولة الموحدية هم أول ملوك المغرب سنّا لعادة الختان منذ عهد يعقوب أنصور. حيث كان يتم التهييء لعمليات الختان في مطلع كل سنة هجرية، حسب ما أورده ابن عذاري في المعجب<sup>(٣)</sup>.

وسار ملوك بني مرين على نفس الدرب، إذ كان ختان الأيتام من الأعمال التي

(١) جاء عند المنوني في المرجع نفسه، ص: ٧٢ أن بناية المارستان انهارت سنة ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٤م، ولم يبق منها إلا المسجد في حين ألحقت المساحة الأخرى بالقيصرية.

(٢) نفسه، ص: ٧٤.

(٣) نقلا عن المنوني: مذكرات من التراث المغربي، ٣م، ص: ٨٠.

أثرت عن السلطان أبي يوسف يعقوب<sup>(١)</sup>. وهو أول سلطان مريني سن عمليات الختان بعدما استقرت الأوضاع العامة للدولة وتقرر اتخاذ يوم عاشوراء من كل سنة مناسبة لإجراء هذه العملية. ويبدو أنه نفس اليوم الذي اعتمد أيضا من طرف ملوك الموحدين، بما أنهم كانوا يستعدون لتلك العمليات منذ بداية السنة الهجرية القريبة من يوم عاشوراء الذي يصادف العاشر من محرم الحرام أول شهور السنة الهجرية.

وتابع سلاطين بني مرين بعد يعقوب بن عبد الحق إعداز الأطفال. فابن مرزوق في إطار حديثه عن أعمال أبي الحسن قال: «ومن صدقاته الجارية وحسناته المستمرة التي سنها هو أن في كل عاشوراء من سائر بلاده يجمع الأيتام الذين يفتقرون إلى الختان فيختن كل واحد ويكسوه قميصا وإحرامات ويعطى عشر دراهم وما يكتفي به من اللحم فيجتمع في كل عاشوراء من الأيتام من سائر البلاد ما لا يحصى»<sup>(٢)</sup>.

وبذلك فعمليات الختان هاته استهدفت الأيتام الذين لم يتمكن ذوهم من إعدازهم نظرا للأوضاع المعيشية وظروفهم التي لم تكن تسمح بذلك. كما صحب عمليات الختان تقديم كسوة ونقود ولحم تمكن من إتمام الفرحة، وتساهم في عدم شعور الأطفال المختنين بالنقص. ويوم عاشوراء الذي يتم فيه الإعداز هو مناسبة يحتفل بها المسلمون، وخاصة الأطفال منهم، ولذلك فتختينهم وإعطاء الهدايا لهم يجعلهم يشعرون أيضا بفرحة ذلك اليوم الذي يفرح فيه غيرهم. ومكنت عمليات الختان من خدمة شريحة كبيرة من الأطفال الذين كان يتم جمعهم من سائر البلاد. ومادام الحديث عن فاس فيبدو من خلال النص السابق أن الأطفال الأيتام كانوا

(١) نفسه، ص: ٨١.

(٢) ابن مرزوق: المسند الصحيح، ص: ٤٢٠.

يجمعون بقصد إغذارهم من المناطق المحيطة بالمدينة.

ويدوره قام السلطان أبو عنان بعمليات ختان الأيتام، إذ ورد عند ابن جُزي كاتب رحلة ابن بطوطة «اخترع مولانا أيده الله، في الكرم والصدقات أموراً لم تخطر في الأوهام ولا اهتمت إليها السلاطين... ومنها إغذار اليتامى من الصبيان وكسوتهم يوم عاشوراء»<sup>(١)</sup>. وهي عمليات تمت على النهج الذي كان معتمداً في عهد سابقه من السلاطين، إذ كانت تتم كسوة الأطفال الأيتام عند تختينهم.

وعدم ورود كلام عن عمليات الختان للأيتام في الفترة التي تلت عهد أبي عنان في الكتابات التاريخية، يفسر بضعف تلك العمليات نتيجة عدم الاستقرار الذي تفاوتت درجاته حسب وضعية البلاد خلال حكم كل سلطان.

#### - التوليد:

التوليد معناه إخراج الجنين من بطن أمه عند اكتمال أطوار تكوينه فيه، وما يتبع ذلك من العناية به وبصححة أمه التي ولدته. وحرفة التوليد من اختصاص النساء اللواتي كن لا ينتظمن في طائفة حرفية، كانت كل واحدة منهن تعمل بشكل انفرادي يغلب على عملها التطوع لفعل الخير. وتسمى المولدة بالقابلة ذكر ابن خلدون أنها دعيت بذلك نسبة إلى الإعطاء والقبول<sup>(٢)</sup>، وأضاف أن القابلة بعد خروج الجنين تقوم بمداواة الجنين وأمه والعناية بصحتها.

وخدمة التوليد «ضرورية في العمران للنوع الإنساني لا يتم كون أشخاصه

(١) ابن بطوطة: تحفة النظر، ص: ٦٤٩.

(٢) ابن خلدون: العبر، ج ١، ص: ٤٣٩.

في الغالب دونها<sup>(١)</sup>، إذ بها يحدث التوالد والتكاثر اللذان يضمنان استمرارية الحياة البشرية، ويحصل تعويض ما يحدث من نقص بفعل الوفيات الطبيعية، وما تخلفه الكوارث التي تؤدي بحياة فئات واسعة من الناس كالأوبئة والمجاعات. وتخدم المولدات أيضا الأمهات حتى تقمن بواجباتهن المنزلية والتربوية والمعيشية.

تلك هي أهم الأعمال التي اعتنت بصحة عامة الناس، دعمتها أموال الأوقاف وبعض موارد المخزن، وعمل فيها الحرفيون المختصون بصفة تطوعية، أو تحت أمر مستخدميهم من السلاطين.

### ٣- السكن:

خدم الصناعات والحرفيون ساكنة مدينة فاس، ببناء المساكن لهم وإصلاح ما تضرر أو تهدم منها، وتجهيزها بلوازمها مثل الأفرشة والأغطية والأواني وغيرها.

ومادامت الفترة المرينية الوطاسية هي محط الدرس والبحث، فإن فاس عرفت فيها توسعا عمرانيا بعد التراجع المسجل في فترة الانتقال من الحكم الموحدى إلى المريني.

فقد تطلبت أعمال البناء والإصلاح وما يتبعها من تعمير المساكن بحاجياتها ولوازمها، حشر الطاقات الحرفية التي تتعدد مجالات صنعها وإبداعها، بغرض خدمة الناس في فاس بخاصتهم وعامتهم، رغم أن المصادر التاريخية تركز على الخدمات التي تلقىها الخاصة، ولا تشير للتي ترتبط بالعامية إلا عرضا، وذلك راجع لعدة أسباب من بينها أهمية الأعمال الحرفية المقدمة للأولى التي تستقطب الأنظار إليها أكثر من التي توجه للثانية.

(١) نفسه، ص: ٤٤٠-٤٤١.

وصف ابن خلدون مميزات السكن لدى أهل الأقاليم المعتدلة التي يدخل فيها أهل المغرب قائلا: «أهل هذه الأقاليم أكمل لوجود الاعتدال لهم فتجدهم على غاية من التوسط في مساكنهم.. يتخذون البيوتات المنجدة بالحجارة المنمقة بالصناعة ويتناغون في استجادة الآلات والمواعين ويذهبون في ذلك إلى الغاية»<sup>(١)</sup>. هذا القول يحمل تبريرا لمظاهر الزخرفة والجمال التي ميزت المباني السكنية في فاس، وتنوع وحسن تجهيزاتها، فقد تراكمت في هذه المدينة الأعمال منذ تأسيسها حتى أصبحت توصف بأنها «مدينة عظيمة وهي قاعدة بلاد المغرب، وبين أهل المدينتين (العدوتين) فتن ومصاومات، وفيهما معا ضياع ومعايش ومبان سامية وقصور، ولأهلها اهتمام بحوائجهم»<sup>(٢)</sup> ويضيف الحميري عن فاس أيضا أن «لها أنظار واسعة متصلة العمائر، وعدوة القرويين من هذه المدينة أكثر بساتين وأشجارا ومياها وعيونا»<sup>(٣)</sup>. ويستنتج من النصين الأخيرين أن بنية المدينة كانت مساعدة على إنشاء عمارة متميزة، وأن سكان مدينة فاس توارثوا الإبداع والصناعة في بناء الديار والتأنيق في زخرفتها وتعميرها حسب حاجة قاطنيها.

لقد تم إحصاء المنشآت العمرانية بفاس سنة ٥٨٥هـ / ١١٩٠م في عهد محمد الناصر، فبلغ عدد الدور ٨٩٢٣٦ والمصارى<sup>(٤)</sup> ١٧٠٤١<sup>(٥)</sup>. وقُدِّر عدد سكان فاس بين القرنين الرابع والعاشر الهجريين / العاشر والسادس عشر الميلاديين بـ ١٠٠ ألف نسمة، في حين وصل عدد السكان في فاس الجديد ٨٠٠٠ نسمة. وتمثل

(١) ابن خلدون: المقدمة، ص: ٨٢.

(٢) الحميري: الروض المعطار، ص: ٤٣٤.

(٣) الحميري، ص: ٤٣٥.

(٤) تعرف أيضا بالمصريات وهي بيت واحد مستقل تضاف إليه مرافق عادة ما تكون مستقلة عن المدخل ويوجد فوق سكن أو أعلى عمر عام ويوصل إليه بالدرج.

(٥) الجزنائي: جنى زهرة الأس، ص: ٤٤.

المجهود الذي قام بها الحرفيون المختصون في التعمير والبناء خلال المرحلة المرينية والوطاسية في بناء فاس الجديد وتوسيع فاس القديم بملء فراغاته وإصلاح وتجديد ما تضرر من المباني فيه مساهمة للتطورات التي عرفها سكان المدينة الذين تأثرت بنيتهم بما كانت تعرفه بلاد المغرب من أزمات اجتماعية مثل الكوارث الطبيعية والبشرية من مجاعات وفيضانات وحروب كان لها دور حاسم في عدم ارتفاع الساكنة الفاسية بشكل كبير مقارنة مع الفترة الموحدية.

ونج عن الأضرار التي لحقت بالبنية المعمارية بفاس بفعل الأزمات التي دُكرت آنفاً، ونزول السلطان بهذه المدينة عند تولي المرينيين للحكم، تجديد البناء والعمارة فيها<sup>(١)</sup>. وهو الأمر الذي بدأ في الحصول منذ فترة مبكرة. فقد كثرت العمارات بفاس بعد دخول الأمير المريني أبي بكر إليها راجعاً من سجلماسة ودرعة اللتان انتزعهما من ملك بني زيان يغمراسن سنة ٦٥٥هـ / ١٢٥٨م<sup>(٢)</sup>. وكثرة التعمير هذه تعبر عن حاجة سكان فاس إلى تشييد البنايات، وأهمية الاستقرار السياسي في ذلك.

ومع تحكم المرينيين في الأوضاع بالمغرب سوف يقوم السلطان يعقوب بن عبد الحق بتأسيس مدينة جديدة تليق بمقام الملوك، ويستقر معه فيها خدام الدولة ومسؤولوها. لذلك تم إعمارها تدريجياً منذ أن أسست سنة ٦٧٤هـ / ١٢٧٦م<sup>(٣)</sup>، فضمت دوراً وقصوراً وأحياء قطنها مسلمون وذميون، في وقت كانت فيه المدينة العتيقة تعرف توسعاً عمرانياً من خلال ملء فراغاتها وأطرافها.

(١) ابن خلدون: المقدمة، ص: ٣٤٣.

(٢) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص: ٢٩٦.

(٣) ابن خلدون: العبر، ج ٧، ص: ٢٣٠.

وعموما تعتبر فترة يعقوب بن عبد الحق وابنه يوسف مؤسسة للحركة المعمارية بفاس التي ستنتزع في الفترات اللاحقة لها، حيث مال الناس إلى التألق في بناء الدور والإقبال على اقتنائها، مما ساهم في ارتفاع أثمان العقار. ففي عهد أبي الربيع سليمان «بيعت كثير من الدور بفاس بألف دينار من الذهب العين، وتنافس الناس في البناء، فعالوا الصروح، واتخذوا القصور المشيدة بالصخر والرخام وزخرفوها بالزليج والنقوش... واستبحر العمران، وظهرت الزينة والترف»<sup>(١)</sup>.

ومثلما كانت الطاقات الحرفية تحشر للبناء والتألق فيه، كانت أيضا تتعاون لمواجهة بعض الأزمات التي تخل بتوازن النسيج العمراني المنعكسة سلبا على ساكنيه. وذلك ما حدث مثلا سنة ٧٢٥هـ / ١٣٢٦م، إذ جرف سيل نتيجة فيضان وادي فاس البنيات التي كانت قريبة منه، وهي جزاء ابن برقوقة ودور الرصيف وبعض دور البرزخ فضلا عن الأسواق والقناطر. وكانت من بين الخسائر الناجمة عن ذلك هلاك ٧٣٠ نفسا، وتهدم ١١٠٠ دارا<sup>(٢)</sup>، أعيد بناؤها، وأصلح ما تضرر منها.

وانتعشت المدينة في التعمير بعد تلك الفترة. ففي عهد أبي الحسن علي عرضت عليه قضية من فاس وهو مستقر بتلمسان، تتعلق بأحد الوشائين<sup>(٣)</sup>، كان قد اشترى دارا بألف دينار ذهبي<sup>(٤)</sup>، مما يعبر على التنافس على امتلاك العقارات المؤدي إلى ارتفاع أثمان بيعها. وحديث النميري رغم ما يحمله من مدح وثناء في حق مخدومه

(١) نفسه، ص: ٢٨٢.

(٢) ابن أبي زرع: الأيس المطرب، ص: ٤١٣.

(٣) الوشاة هو الذي كان يجمع الهدايا من الولاة ويقدمها للسلطان.

(٤) ابن مرزوق: المسند الصحيح، ص: ١٤٣.

أبي عنان<sup>(١)</sup>، فيه إشارات إلى الإبداع في البناء والزخرفة خلال عهده بعاصمة الدولة.

ورغم ما قيل عن ضعف دولة بني مرين عقب وفاة أبي عنان سنة ١٣٥٩/٧٥٩م، فإن وضعية العقار حافظت على مكانتها في حدود معينة. حيث تنافس الناس أيضا في التائق في المساكن بفاس بعد رجوع أبي بكر بن غازي من تلمسان عقب وفاة السلطان أبي فارس عبد العزيز سنة ١٣٧٤/٧٧٤م<sup>(٢)</sup>. لكن الأوضاع التي مرت بها الدولة بعد ذلك والتي ازدادت تفاقما مع تقدم الفترات وتوالي ملوك الدولتين المرينية والوطاسية، نزلت بثقلها على مختلف الأنشطة ومن ضمنها العقار فميزه الجمود والتقليد<sup>(٣)</sup> من جهة، وضعف التنافس بين الناس في امتلاكه واقتنائه من جهة أخرى. لكن طبيعي أن حركة البناء والتعمير والإصلاح لن تتوقف، مادامت الحركة السكانية قائمة، والنشاط الحرفي كذلك.

إن النسيج العمراني لفاس المرينية الوطاسية ضم أحياء تختلف أوضاع سكانها، سمحت لقسم منهم بذل المال في الإنفاق على البناء وتنميته والعناية بتزيينه اعتمادا على أعمال الحرفيين، وأتاحت لقسم آخر اتخاذ المساكن للإيواء، وعدم الإنفاق في زخرفتها. كما كانت الأطراف المحيطة بالمدينة تحتوي على مساكن بسيطة بعضها عبارة عن أكواخ مثل التي أوت المجذومين، والتي سبقت الإشارة إليها، والصبانين<sup>(٤)</sup> وغيرهم. إلا أن هذه الفئات تعايشت فيما بينها وخدم بعضها بعضا،

(١) النميري: فيض العباب، ص: ١٧٠.

(٢) ابن خلدون: العبر، ج ٧، ص: ٣٩٨.

(٣) توري، عبد العزيز: العمارة المرينية، معلمة المغرب، م ١٨، ص: ٦١٨٠، الذي أشار إلى أن الجمود والتقليد ميز العمارة في الفترة المرينية ككل، لكن في اعتقادي قد ميز طور الضعف فيها، مادامت هناك خصائص معمارية مرينية متميزة عن سابقتها لازالت المعالم المرينية شاهدة عليها.

(٤) أفنى العبدوسي بذلك بعد زوال الحكم المريني، انظر: الونشريسي: المعيار، ج ٧، ص: ٣٠٨.

رغم اختلاف مستويات عيشها، مع الإقرار بحصول الإسراف أحيانا في امتلاك العقارات والإنفاق عليها من طرف الملوك أو مسؤولي الدولة كانت آثارها سلبية على الفئات العامة تبدو أكثر كلما اشتدت الأزمات. فهذا الفقيه عبد الله العبدوسي يجب عن قضية تحسيس السلطان المريني أبي العباس أحمد بن أبي سالم لجنان ابن عين الناس على ضريح جده، قائلا: «إن الملوك فقراء مدينون بسبب ما احتجروه على المسلمين بتصرفاتهم في أموال بيت المال بالهوى في أبنية الدور الغالية المزخرقة و...»<sup>(١)</sup>.

وتمدنا المصادر بمعلومات عن مميزات مساكن الخاصة من الناس في فاس. إذ ورد عند القلقشندي أن «أرض دور رؤسائها مفروشة بالزليج» وأضاف أن أهل فاس «لهم عناية بأتحاذ القباب في بيوتهم حتى يوجد في الدار الكبيرة قبتان فأكثر...، ولذلك يتخذ غالب رؤساءهم الحمامات في بيوتهم، فرارا من مخالطة العامة في الحمام...»<sup>(٢)</sup>.

وهذه الإمكانيات لم تتوفر لعامة الناس الذين أشار ابن الخطيب أنهم تميزوا «بالاشتراك في المساكن والديار، على الموافقة والاختيار»<sup>(٣)</sup>. بمعنى أن البنية الواحدة بفاس كانت تضم عدة أسر، في إشارة إلى التعاون بين الناس في الإيواء بالمساكن.

لكن مع ذلك فالأوضاع العامة التي عرفتها مدينة فاس كانت مشجعة على السكن بها. حيث قال ابن أبي زرع في حق هذه المدينة بأنها «مأوى الغرباء، من دخلها استوطنها وصلح حاله بها، وقد نزلها كثير من العلماء والفقهاء والصلحاء

(١) لوتورنو: فاس قبل الحماية، ج ١، ص: ١١٠.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص: ١٥٦.

(٣) ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص: ١٧٩.

والأدباء والشعراء والأطباء وغيرهم»<sup>(١)</sup>.

وتأكد ذلك أيضا حين وصف الحميري أهل فاس بأنهم مياسر ولمدينتهم من كل شيء حسن أوفر حظ<sup>(٢)</sup>.

والأعمال الحرفية التي قام بها المختصون في البناء والعمارة جعلت «مدينة فاس محدثة... في نهاية العمارة والإصلاح قد بنيت أكثر جناها الملاصقة لها دورا وأضيفت إليها، وفيها اليوم ثلاث جوامع»<sup>(٣)</sup>.

وتتضح قوة الحركة المعمارية بفاس بمقارنتها مع ما كانت تشهده المدن الإسلامية الأخرى. فحديث الحميري أيضا عن مدينة تلمسان ورد فيه «ولم يكن في بلاد المغرب بعد أعماح وفاس أكثر من أهلها (تلمسان) أموالا ولا أرفه حالا، وفاس أكبر من تلمسان نظرا وأجل قدرا وأكثر خيرا ومالا، وأعلى همة في المباني واتخاذ الديار الحسنة»<sup>(٤)</sup>.

إن الحديث عن وضعية العمارة بفاس ومميزاتها فيه تعريف بالأعمال التي أنجزها البناؤون والمختصون في الزخرفة والتزيين لفائدة ساكنة مدينة فاس، مهما كانت درجات عيشهم ومستويات يسرهم. وسواء كان عملهم مأجورا أو تطوعيا في

(١) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ص: ٣٦-٣٧.

(٢) الحميري: الروض المعطار، ص: ٤٣٤.

(٣) نفسه، والجوامع الثلاث هي القرويين والأندلس والعناية، وهذا ما أكدته الفتاوى الفقهية حول جواز الصلاة في الجوامع المذكورة، انظر الونشريسي: المعيار، ج ١، ص ص: ٢٦٩-٢٧٠، وعدم ذكر الحميري للجوامع الرابعة في المدينة البيضاء يفسره اهتمامه بالمدينة العتيقة فقط بالنظر لما كانت تشهد من حركة سكانية و عمرانية.

(٤) الحميري: المصدر السابق، ص: ١٣٥.

بعض الحالات، فإن الأهم الذي قدموه هو تمكين الناس من الإيواء داخل البيوت أو الدور أو القصور التي تحميهم من الحرارة التي تشتد صيفا والبرودة التي تزداد قساوتها في الشتاء.

#### ٤- الضيافة:

تلقى القادمون إلى فاس، من المناطق والأصقاع البعيدة، المحتاجون للإيواء والإطعام، خدمة الضيافة بمرفق أسسه السلطان أبو عنان المريني أطلق عليه اسم الزاوية المتوكلية المقتبس من اسمه، حيث كان قد تلقب بالمتوكل على الله. ولعل المرافق التابعة للقصر السلطاني قد تخصصت في خدمة ضيافة الفئة المذكورة قبل بناء الزاوية سنة ٧٥٤هـ / ١٣٥١م، وبعد هدمها نتيجة الفترات العصيبة التي مرت منها الدولة. وكانت الدار التي تحتضن استضافة الناس تنعت بدار الضيافة أو دار الضيفان<sup>(١)</sup>. واعتبارا لتشابه الوظائف التي قدمت بالزاوية أو بأماكن أخرى قبل تأسيسها وبعد هدمها من جهة، وتوفر المعطيات المتعلقة بالزاوية من جهة أخرى، سيتم التركيز على ما قدمته السواعد الحرفية للنازلين فيها.

كانت الزاوية المتوكلية تستقبل الضيوف الذين يتوافدون على حضرة فاس، فيتم إكرامهم بالطعام والمبيت داخل المنافع التي تعد ملحقة بالزاوية. وقد أشار ابن جزري راوي رحلة ابن بطوطة إلى وظيفة الإطعام في إطار الحديث عن أعمال السلطان أبي عنان ذاكرًا أنه أمر ب«عمارة الزوايا في جميع بلاده لإطعام الطعام للوارد والصادر، وقد

(١) احتوى مؤلف لوتورنو على تصميم لمدينة فاس منقول عن مصلحة الجغرافية الوطنية سنة ١٩٣٨، يحتوي على موقع دار الضيافة تتواجد غرب فاس الجديد وشمال وادي فاس يستبعد أن يكون موقعا للزاوية المتوكلية، لكنه إشارة إلى وظيفتها انظر لوتورنو: فاس قبل الحماية، ج ١، ص: ١٣٥.

جعل التصدق على المساكين بالطعام يومياً<sup>(١)</sup> بمعنى أن الوافدين على الزاوية هم الذين يزورون المدينة من خارجها، والذين يتم إطعامهم هناك. ويغلب على الظن أن إطعام الفقراء والمساكين خارج الزاوية كان من الأقوات المهيأة بها، يدعم ذلك تصدق أبي عنان على المساكين والضعفاء بالخبز والكسوة<sup>(٢)</sup>. لذلك كانت الدار التابعة للزاوية المخصصة للطبخ «لا تحمد بها نيران القِرَى، ولا تزال مشوبة لذوي النوائب والسرى»<sup>(٣)</sup>. وهو ما يؤكد كذلك أن الأطعمة المُعدّة يتناولها ضيوف الزاوية الغرباء عن المدينة والمساكين الذين لا يمتلكون قوت يومهم.

وبالإضافة إلى الإطعام احتضنت الزاوية أيضاً خدمة مبيت الضيوف بالغرف المكونة لها احتوت على «فرش حسنة النعوت من الطنافس والقطف والزرابي واللحف»<sup>(٤)</sup>. مما استوجب على العاملين في الزاوية السهر على تنظيف تلك الغرف والعناية بمحتوياتها والاهتمام بالمنافع الأخرى التي يحتاج إليها النزلاء<sup>(٥)</sup>.

فقد تم ترتيب العبيد المتزوجين بالإماء لخدمة الزاوية عند تأسيسها لكون أعمال الزاوية تطلبت اشتغال النساء المرتبات في الطبخ والتنظيف والكنس والعناية بالأفرشة والأغطية، في وقت اختص الرجال المرتبون في استقبال الضيوف وتقديم الأطعمة لهم والعناية بهم أثناء نزولهم حتى مغادرتهم الزاوية.

ولم يكن الضيوف فقط هم من ينزل بالزاوية، بل نزلها أيضاً «فقراء صوفية

(١) التازي، عبد الهادي: اكتشاف موقع الزاوية المتوكلية، مجلة آفاق للثقافة والتراث، ١٩٩٨، ص:

١٥٦.

(٢) ابن بطوطة: تحفة النظائر، ٦٤٨.

(٣) النميري: فيض العباب، ص: ٢١٣.

(٤) نفسه.

(٥) نفسه.

يقيموا هنالك الذكر»<sup>(١)</sup>. وهم من الفقهاء الذين وُقِّفوا على الزاوية كي يتلوا فيها القرآن وبعض الأذكار التي تنهي على الله تعالى وتصلي على نبيه محمد ﷺ، ولعل مسجد الزاوية كان مكانا لتلك الأذكار. وإقامة الفقهاء تطلبت أيضا تقديم خدمات الإطعام والتنظيف والمبيت لهم.

قطن القائمون بأعمال الزاوية، من ناظر وإمام ومؤذن المسجد وأسر الخدم، بدور بنيت مع الزاوية وألحقت بها<sup>(٢)</sup>، استفادوا بدورهم من الأعمال التي تمت فيها.

إن الدور الاجتماعي الذي لعبته الزاوية المتوكلية، تجسد في الإحسان بالغرباء عن المدينة، لعلهم من الواردين عليها من المناطق والأصقاع البعيدة، في وقت احتضن المارستان الغرباء الذين يقطنون في محيطها. وهو ما مكن نزلاء الزاوية من قضاء حاجاتهم بالمدينة قبل عودتهم إلى المناطق التي وردوا منها أو يعبرون في اتجاهها.

#### ٥- الخدمات الأخرى:

قدم الحرفيون خدمات أخرى لفائدة المجتمع تتميز بالتنوع والتعدد مادامت الفروع الحرفية كذلك. وبما أن الحديث، في هذا المقام، عن الخدمات الاجتماعية، فإن ما يمكن تناوله منها تنظيف الناس في الحمامات، وتوفير الألبسة، وتيسير حركة المرور والتنقل داخل النسيج الحضري للمدينة، وتزويد المارة بالمياه، وغيرها.

(١) التازي، عبد الهادي: المرجع السابق، ١٥٩.

(٢) النميري: فيض العباب، ص ص: ٢٠٦-٢٠٩.

## - الاستحمام:

توافدت على الحمامات العامة فئات واسعة من ساكنة المدينة قصد تنظيف وتطهير الأجسام. ودور الحرفيين في هذه الخدمة مثلته أعمال الإبداع في تشييد الحمامات، واشتغال الغلمان والخادمت داخلها، ومد الحمامات بالمياه، وصناعة الأدوات والمواد المستعملة في الاستحمام كالأسطل أو الدلاء ومواد التنظيف.

وضمنت مدينة فاس خلال الفترة الممتدة بين القرنين الرابع والعاشر الهجريين/ ١٠ و١٦م، مائة حمام «جيدة البناء، حسنة الصيانة»<sup>(١)</sup>، خصص بعضها للرجال والبعض الآخر للنساء، كما اختلفت من حيث أحجامها وأشكالها. وهذا العدد يعبر، من جهة، عن التطور الحاصل مقارنة مع الفترة الموحدية التي لم يتعد عدد الحمامات فيها بفاس ٧٣<sup>(٢)</sup>، ومن جهة أخرى، عن النمو الديمغرافي والعمراي الذي عرفته المدينة.

وضم كل حمام ثلاث قاعات، تتدرج من حيث درجات الحرارة، وغرفة مخصصة لإزالة الملابس وارتدائها قبل وبعد عمليات الاستحمام، فضلا عن المكان الذي توقد فيه النار على الماء. وكانت الحمامات تسخن بالزبل الذي يجمع من أحياء المدينة ويشمس فينقل من طرف حمالين خاصين إلى الحمام<sup>(٣)</sup>.

وكان الراغب في الاستحمام بعد إزالته لملابسه يأخذ دلوين كي يحمل فيهما الماء داخل الحمام، ثم يقوم بتنظيف جسمه بمساعدة أحد الغلمان، الذين يضعون على

(١) الوزان: وصف إفريقيا، ج ١، ص: ٢٢٥.

(٢) ابن أبي زرع: الأئيس المطرب، ص: ٤١٣.

(٣) الوزان: المصدر السابق، ج ١، ص: ٢٢٩.

أجسام المستحمين الدهون المنشطة وبعض الأدوات التي تزيل الأوساخ<sup>(١)</sup>. وهو العمل نفسه الذي كانت تقوم به الزنجيات الخادמות بالحمامات التي ترتادها النساء بغرض الغسل والتنظيف. وحفاظا على حرمة النساء كانت توضع حبال في أبواب الحمامات التي تتواجدن داخلها، دلالة على منع ولوجها من طرف الرجال. وإذا أراد شخص أن ينادي امرأته يكلف إحدى المستخدمات بالحمام بذلك<sup>(٢)</sup>.

وقد احتوت فاس الجديدة مثل فاس القديمة على حمامات عامة منها الحمام العظيم الذي بني بعد مدة قليلة من تأسيس المدينة البيضاء<sup>(٣)</sup>. إلى جانب الحمامات الخاصة التي أنشأها الأعيان تجنباً لاختلاطهم مع العامة<sup>(٤)</sup>.

وكيفما كان نوع هذه الحمامات، فإنها ساهمت في المحافظة على نظافة أجسام الناس رجالا ونساء وأطفالا، والعناية بصحتهم، وتجسيد الاحترام المتبادل بين الجنسين -إلا في القليل النادر-. وما جرى في الحمامات الفاسية خلال الفترة المدروسة لازال ساري المفعول لحدود الآن رغم ما طرأ من تغيرات.

- ارتداء الملابس:

تظافرت مجهودات الحرفيين العاملين في صناعة الأثواب وخطاطتها وتزيينها من أجل توفير الملابس لعامة الناس وخاصتهم، ونسائهم ورجالهم وأطفالهم.

وكان اللون الأبيض الذي حمله الجلباب والبرنس الرقيق مفضلا في لباس

(١) نفسه، ص: ٢٣٠.

(٢) نفسه.

(٣) ابن أبي زرع: الذخيرة السنية، ص: ١٨٨.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص: ١٥٦.

الخاصة من الناس، إذ تميز بارتدائها السلطان ووجهاء الدولة والعلماء والفقهاء. في حين انتشرت عند بقية الناس الأنواع الأخرى من الملابس التي لا حرج عليهم فيها<sup>(١)</sup>.

ويُسجل أن مسؤولي الدولة كانوا يرتدون أحسن الأثواب، وهو الأمر نفسه عند الفقهاء والعلماء، إذ اشتملت الكسوة التي أهداها السلطان أبو عنان لخطيب وجامع القرويين أبي عمر الأنفاسي، والتي تردد في قبولها، على «برنس وبدن أبيضان من صوف وإحرام للتردية ومنديل للتعميم ودراعتان من ثوب الرصان وقبطية شواشية العمل» وصلت قيمة هذه الكسوة مائة دينار ذهبي<sup>(٢)</sup>.

وشاع عند العامة لباس جبة الصوف<sup>(٣)</sup> والعمام والسراويل وغيرها، وهي ألبسة بسيطة بالمقارنة مع غيرها.

وعلى العكس من ذلك امتاز اللباس النسوي «بحسن زي وشكل»<sup>(٤)</sup>، حيث رخص الفقهاء للنساء لباس خالص الحرير، واشتهر لديهن لباس الخبز<sup>(٥)</sup>، كما استعملن ألبسة أخرى مرتفعة القيمة مثل الأثواب الصقلية. وارتدين هذه الأنواع في المناسبات والحفلات، ولبسن في الأيام الأخرى ما تستر به الأجسام وتحفظ به حرمتها.

وساهم الحرفيون المختصون أيضا في توفير ألبسة خاصة بالأطفال، كما صنعوا

(١) المتوني: ورقات، ص: ٣٠٥؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج ٢، ص: ٤٧٥.

(٢) ابن منصور، عبد الوهاب: أعلام المغرب العربي، ج ١، ص: ٦٤-٦٥.

(٣) ابن الخطيب: نفاضة الجراب، ص: ٢٩.

(٤) معيار الاختيار، ص: ١٧٦.

(٥) الونشريسي: المعيار، ج ١، ص: ٣٤٨-٣٤٩؛ ابن مرزوق: المسند الصحيح، ص: ٢٨٠.

أثوابا من الحرير والصقلي رُخص بوضعها على نعش النساء<sup>(١)</sup>، وبذلك خدموا الأحياء من الناس والأموات، ووفروا الأنواع المرتفعة القيمة والرخيصة من الأثواب والملابس التي غصت بها الأسواق.

### - حركة المرور داخل المدينة:

توفر النسيج الحضري الفاسي على طرق بعضها واسع كالشارع الكبير بفاس الجديد، والطرق الرابطة بين مركز وأبواب المدينة العتيقة مثل الطريق الغربية المؤدية إلى باب الشريعة، والمارة إلى باب الجيسة عبر فندق اليهودي، والمخترقة لعدوة الاندلس في اتجاه باب الحمراء وباب الفتوح وباب بني مسافر عبر الكدان. وكانت الطرق تضيق عند ما تكون رابطة بين الأحياء، وتزداد ضيقا عند التوغل داخل الحي الواحد، إلى أن تصبح عبارة عن زنقات ودروب بعضها غير مؤدي.

ويرجع هذا التباين في اتساع وضيق الطرق إلى الاختلاف في حركة المرور بها والتي يعبرها الناس القاطنون بالمدينة أو الزائرون لها، فترتفع حركتهم في المتجهة إلى قلب المدينة الروحي والصناعي والتجاري الذي مثله جامع القرويين ومحيطه، وتنخفض الحركة داخل الأحياء السكنية.

ونظرا لتواجد الوادي الفاصل بين العدوتين، فقد حتم توحيدهما إنشاء قناطر تربطهما كانت أساسية في العبور، تسلسلت عبر مجموعة من النقاط شيدت فيها القناطر ابتداء من جهة باب الجديد في الجنوب إلى حي الرميلة في الشمال<sup>(٢)</sup>، وقد

(١) أفتى الفقيه أبو سعيد بن لب بجواز ستر الأموات من النساء والأطفال بتلك الأثواب، ومنع ذلك أبو محمد العبدوسي، وردت تلك الفتاوى عند الونشريسي، المعيار، ج ١، ص ص: ٣٤٥-٣٤٨.

(٢) المنوني: حضارة بني مرين من خلال منشآتهم، مذكرات من التراث المغربي، م ٣، ص: ١٩.

سبقت الإشارة إلى الدور المريني الوطاسي في تشييدها وإعادة بنائها وإصلاحها<sup>(١)</sup>. وكثرت الحركة المرورية بقنطرة باب السلسلة أو الطرفين مقارنة مع القناطر الأخرى، نظرا لأهمية الأحياء التي تربطها إذ تمتد حولها من جهة عدوة القرويين أزقة وأسواق باب السلسلة، والتي تحول منها البضائع والمتوجات في اتجاه عدوة الأندلسيين.

وقام الحمالون بدور أساسي في نقل البضائع والمنتجات فوق هذه السبل والقناطر، فنظموا حركتهم باختيار الأوقات والأماكن المناسبة لمرورهم، حتى تكون أعمالهم ميسرة وغير مؤذية للسكان والمارة.

#### - استسقاء المياه:

مثلت مياه وادي فاس والعيون والآبار النابعة خارج وداخل المدينة، مصدرا رئيسيا للمياه المستعملة. وكانت القنوات المكشوفة والمطمورة والنواعير وسائل لتحويل الكميات اللازمة منها إلى نقط صرفها داخل الأحياء وفي الجوامع والمراق العامة والأزقة والطرق.

وبالنظر إلى حيوية الماء، وحاجة الناس إليه، وفضل تزويدهم به شيدت على الشوارع والطرق سقايات تتوفر على صهاريج وأحواض يسقي منها الناس ما يحتاجونه من الماء، وتشرب منها الدواب. وقد نشطت عمليات تشييد السقايات في عهد أبي الحسن المريني<sup>(٢)</sup>، والتي كان لها دور في تزويد سكان الأحياء والعاملين في

(١) يمكن الرجوع إلى المبحث الثالث من الفصل الأول في الباب الأول من هذا البحث للاطلاع على ذلك.

(٢) ابن مرزوق: المصدر السابق، ص: ٤١٧.

المحلات الصناعية والأسواق التجارية والمارة في الطرق والدواب بالماء، مما مكن من تغطية الطلبات المتعددة عليه، وبذلك تكامل دور السقايات والقنوات في إتمام الشبكة المائية بفاس.

### - توفير الأقوات:

ساهم النشاط الحرفي في خدمة المجتمع من نواحٍ أخرى، منها الغذاء الذي يعتبر أساسيا في عيش الأفراد. ونشطت المطاحن والأفران والمعاصر في توفير المواد الغذائية الأساسية من دقيق وخبز وزيت. فقد أشار ابن الخطيب إلى أن «أحجارها (فاس) طاحنة ومخابزها شاحنة»<sup>(١)</sup>. وقد لبث مطاحن الزرع بفاس حاجيات ساكنة فاس ومحيطها أيضا إذ ذكر الوزان في حديثه أن «زرع البادية كانت تطحن بالمدينة»<sup>(٢)</sup> المعلومة. وصُنعت الأطعمة داخل الدور وفي محلات بيعها لعامة الناس، حيث وصلت مبيعات أنواع الطعام بسوق الدخان وحده ١٠٠٠ مثقال كل يوم.

وبهذه الخدمات وغيرها تمت تلبية الحاجيات المختلفة للناس، الساكن منهم والغريب، الغني منهم والفقير، وبها كُفِّل الأيتام، واعتني بأوضاع المجذومين والمجنونين والمعتهوين. فقد نُفقت أموال المخزن والأوقاف على المحتاجين من الناس، وبُذلت أموال غير المحتاجين في سبيل اقتناء حاجياتهم. وكان الحرفيون والصناع وسطاء في هذه وتلك، إذ تحول عملهم أحيانا من الأجر إلى التطوع، حسب درجات ورعهم، وابتغائهم لأجر الآخرة ومدى تعففهم في طلب أجر الدنيا، ووفقا للحاجات المطلوبة منهم، وحسب الوسط الذي عاشوا فيه.

(١) ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص: ١٧٢.

(٢) الوزان: المصدر السابق، ج ١، ص: ١٩١.

لكن وثيرة تقديم الخدمات لم تكن نفسها في كل الفترة المدروسة بفعل التأثير بالأوضاع العامة القائمة. إذ تطورت إيجابا مع انطلاق حكم المرينيين واستقرار دولتهم. في حين شهدت تراجعا في فترات الاضطراب وعدم الاستقرار. إلا أنه لم تتوقف الخدمات الموجهة للمجتمع، مادامت الحياة قائمة والإنسان ساعيا في طلبها.

إن تنظيم أعضاء الطوائف الحرفية لصفوفهم و ما قدموه - بفضل ذلك - من أعمال حرفية وما احتضنته مؤسسات الدولة - خاصة الأوقاف - ، انعكس بالإيجاب على أوضاع المجتمع إذ سادت صفات التضامن و التآزر فيما بين أفراده.

و الخدمات المتعددة التي قدمها الحرفيون العاملون في الطوائف الخاصة أو في الأنشطة الصناعية التي رعتها مؤسسات الدولة ، ساهمت في ضمان تماسك الناس وتعاونهم بتوفير متطلبات الفقراء والمعوزين والمرضى والأيتام والغرباء وغيرهم ، وبتوفير حاجيات ذوي الإمكانات أيضا .

## الخاتمة

إن المنتجات والخدمات الحرفية التي قدمت من طرف المؤسسات التابعة للدولة، والممتلكة من طرف الخواص، وما كان لها من آثار على الاقتصاد والمجتمع، حافظت على حيوية النشاط الحرفي بفاس المرينية الوطاسية، فضمنت له الاستمرارية التي كانت مصحوبة بمسايرة التطورات والتغيرات الحاصلة وما لها من أثر في تنوع الصناعات والرفع من كمياتها وتحسين تقنياتها وأدواتها، وفي مراعاة حاجيات ومتطلبات الأسواق في ظل التنافس مع المنتج الحرفي للبلدان الخارجية.

ويمكن استجلاء أهم النتائج والإضافات التي قدمها النشاط الحرفي الفاسي في الفترة المدروسة فيما يأتي :

### على مستوى التقنيات والمهارات الحرفية:

- بروز الزخارف في البنايات، وخاصة المرينية، حيث أبدع العاملون في حرف البناء في تزيين الواجهات الداخلية للمباني، وفي فرش أرضيات الصخون التي تؤطرها جدران الواجهات المشار إليها، وفي صباغة وتزيين سقوف الغرف والمنافع والأروقة وغيرها، وفي العناية بالمداخل والفتحات، ومختلف العناصر التي تبرز للعيان، لذلك كانت الزخارف تتنوع وتتفاوت قيمتها حسب أهمية المكان وما اعتمد في زخرفته من مواد. ومن المعالم التي حظيت بجمالية زخارفها المساجد والمدارس والزوايا والقصور والدور الكبرى.

- توصل العاملين في الصناعات الدقيقة إلى صناعة وتشغيل بعض الآلات والتجهيزات الجديدة، مثل الناعورات والساعات المائية ومثال مصغر لجبل الفتح، وقد كان الملوك هم من رعى هذه الابتكارات، والصناعات الأجنبي هم من أبدع في

الصنع.

- اهتمام مريني بالغ بالعمارة العسكرية، حيث بنيت الأسوار المزدوجة التي حصنت حاضرة السلطان تخللتها أبراج لمراقبة محيطها، وهو ما مكن من ضمان سلامة المدينة من الهجومات التي تعرضت لها حيث لم يحصل اقتحامها إلا بتدبير ثورات داخل فاس الجديد.

- تطور صناعة الأسلحة بإدخال أنواع جديدة منها مثل السلاح الناري، لكن إنتاجها عرف تذبذبا تبعا لمرحلتها ازدهار وضعف الدولة، حيث نشطت هذه الصناعة في العصر المريني الأول، وعرفت فتورا في العصر المريني الثاني وخلال العصر الوطاسي.

- تجديد بعض الأعمال الحرفية ككتابة المصاحف والكتب وتزيينها وتسفيرها، فأتاح ذلك خدمة العلم في مدينة فاس، وبعث الهدايا التي تضم الربعات القرآنية إلى المعالم الإسلامية الشرقية من طرف ملوك الدولة مثلما حدث عند المرينيين منهم.

- تحسين ملحوظ في تقنيات ومهارات الصناعات الخاصة الكمالية المركبة التي احتضنتها فاس القديمة بشكل خاص، وعدم تأثر الصناعات الخاصة الضرورية البسيطة بالتحويلات التقنية والمهارية التي شهدتها النشاط الصناعي.

على المستوى التنظيمي:

- تحكم سلاطين الدولة في تسيير بعض الصناعات التي لها أهميتها في سيادة الدولة مثل سك النقود والصناعة العسكرية. إذ جُدد تنظيم دار السكة بتعيين ناظر مكلف بتسيير العمل فيها وتكليف نظار بتسيير المرافق الصناعية الأخرى.

- تبعية مؤسسة الأوقاف للدولة، وإشراف نظار المعالم الوقفية على الأعمال الحرفية التي احتضنتها، باستقلالية واسعة في المساجد ومحدودة في المدارس والزوايا والمارستانات.

- ميل المخزن إلى الاكتفاء بالضرائب الشرعية التي تجبى من أرباب الأعمال الصناعية والتجارية في فترات قوة الدولة، وجنوحه إلى إضافة ضرائب غير شرعية عليهم والرفع من قيمتها في فترات الضعف. مما أدى إلى تضرر أوضاع الناشطين في الحرف والصناعات أحيانا الذين مثلت أعمالهم موردا ماليا لخزينة الدولة.

- إحداث بني مريـن لنظام «الرُّتَب» الذي مكن من تأمين الطرق التجارية خارج المدن. وهو نظام ذو أهمية اقتصادية واجتماعية، حيث مُنحت بموجبه إقطاعات من الأراضي للقائمين على حماية العابرين للطرق وما ينقلونه من بضائع، كما أُدِّيت بموجب هذا النظام جبايات مالية للمخزن، وبذلك حقق هذا النظام مصالح أطراف ثلاثة هي: المكلفون بحماية الطرق والمخزن والتجار.

وقد انعكس هذا النظام على الحرف والصناعات بتزايد اقتناء المنتجات بقصد تصديرها خارج المدن المنتجة لها ومنها فاس.

- تقوية وإحكام تنظيم الطوائف الحرفية، بترؤس الأئمء لها، ومساعدتهم للمحتسب في مراقبة العمل الحرفي في الإنتاج والتسويق، بالشكل الذي ساهم في ضمان حقوق الحرفيين والمستهلكين، ودعم النشاط الاقتصادي.

- تنظيم خاص لطائفة اليهود التي مارست حرفا متميزة، وكانت أعمالها ومتوجاتها تراقب من طرف أجهزة الدولة، وتقدم ضريبة سنوية للمخزن، ويتدخل السلطان أحيانا بعزل أفرادها عن الحرف التي اتهموا بالغش والتدليس فيها.

### - على المستويين الاقتصادي والاجتماعي:

تكامل العلاقة الاقتصادية بين مدينة فاس والبادية المحيطة بها. فقد وفرت المدينة المذكورة حاجيات سكان الضواحي المجاورة لها من المنتجات المصنعة. حيث كانت البادية في الفترة المدروسة عاجزة عن توفير أبسط حاجياتها من المصنوعات، في حين زودت البادية أهل المدينة بما يحتاجونه من مواد أولية وفلاحية.

تنشيط الحرف والصناعات الفاسية للعلاقات التجارية مع البلدان الخارجية، إذ كان التفوق المغربي واضحاً في المبادلات التجارية مع بلاد السودان، حيث جلبت من هناك المواد الخام وفي مقدمتها الذهب وصدرت إليها مصنوعات أهمها النسيج والنحاس. في حين تميزت المبادلات مع البلدان الأوربية بالتوازن في العصر المريني الأول، وبداية التفوق الأوربي في الفترات التي تبعتها. وكانت المصنوعات الفاسية المسوقة بأوروبا متمثلة في الأصواف والجلود خاصة، أما المنتجات الأوربية التي استقبلتها المدن والمناطق المغربية فمتعددة منها الأسلحة والنسيج والمصنوعات المعدنية.

- تشغيل صناعتي النسيج وطحن الحبوب للعدد الأكبر من العمال حده الوزن في أربعين ألفاً، وهو تعبير عن الحيوية التي ميزت هاتين الصناعتين. فالمنسوجات المصنوعة بفاس سُوِّقَت بكميات كبرى بأسواق المدينة وبالسواق الخارجية، إذ كان الإقبال على اقتنائها ملحوظاً ببلاد السودان. أما صناعة الدقيق بالمطاحن الفاسية التي وصل عدد أرحائها ألفاً، فلبت الحاجيات الغذائية لسكان المدينة والقاطنين في محيطها.

- إسهام الحرفيين الفاسيين بأعمالهم وخدماتهم في العناية بالمحتاجين من الفقراء

والغرباء والأيتام والمرضى والطلبة وغيرهم. وذلك من خلال بناء وتجهيز المعالم التي احتضنتهم كالمساجد والمدارس والزوايا والمستشفيات، إضافة إلى خدمة النزلاء فيها بتهيئ الأطعمة، وإعذار الأطفال، وتطبيب المرضى، وإيواء الطلبة، واستضافة الزوار وغير ذلك.

- رغم تميز سكان عدوة الأندلس في المصادر عن نظرائهم بعدوة القرويين، فإن تتبع الأعمال الحرفية المنجزة بفاس في الفترة المرينية الوطاسية أبرز أهمية ما قام به أهل عدوة القرويين عما قدمه القاطنون بعدوة الأندلسيين. ويتجسد ذلك في ارتفاع حجم المنتج الحرفي وتعدد وتنوع وكبر الأسواق الحرفية والتجارية وغير ذلك بالعدوة الأولى مقارنة مع الثانية. وقد تحكمت عدة عوامل في ذلك منها وفرة المياه وأهمية الموقع وحيوية المعالم العمرانية وفي مقدمتها جامع القرويين.

- ازدياد تنشيط المسلمين القادمين من بلاد الأندلس للحرف والصناعات الفاسية، باستمرار توافدهم على فاس عن طريق جلب سلاطين الدولة المغربية للمكتسبين منهم لمهارات وتقنيات صناعية أو بمحض إرادتهم في إطار التراجع الإسلامي أمام الهجوم المسيحي ببلاد الأندلس. وقد أسهم ذلك التوافد في تحسن التقنيات الصناعية الفاسية وظهور ابتكارات جديدة فيها.

- إعطاء أرباب الصنائع مكانة مهمة من طرف السلطة بحضورهم الاحتفالات والاستعراضات التي تخصص للسلطان مع فئات اجتماعية أخرى، حاملين في أيديهم أعلاما فيها صور آلاتهم، لابسين أفضل الأثواب. إضافة إلى تكليفهم بالقيام بالأعمال الحرفية التي تقدم منتوجاتها للمخزن، وهي عبارة عن حاجيات خاصة بالسلطان والمقرين منه، أو هدايا تقدم للملوك البلدان الخارجية أو غيرها.

- إيلاء اليهود أهمية اجتماعية خاصة غير مسبوقه بفاس، حيث تم نقلهم إلى حاضرة فاس الجديد، فسكنوا بحي خاص بهم هناك، ومارسوا أنشطة اقتصادية ذات مردودية هامة، حسنوا بموجبها أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية.

والنشاط الحرفي والصناعي الذي شهدته فاس المرينية الوطاسية بالإضافة التي ميزته، أسهم في ضمان الحيوية والحركة له، ويمكن من مسايرة التطورات التي حصلت في المدن والمناطق الأخرى المغربية وفي البلدان الخارجية. لكن ذلك النشاط سرعان ما بدأ يعرف التراجع نتيجة الضعف الذي مرت به الدولة في العصر المريني الثاني وفي العصر الوطاسي، استمر الحرفيون والصناع خلالهما في إضفاء طابع التقليد على أعمالهم، إلى أن استقرت الأوضاع وانتعشت في العصر السعدي فساد توجه جديد لدى الحرفيين والصناع بمواكبة التقنيات والأساليب المبتكرة في صناعاتهم وحرفهم.

## لائحة المصادر والمراجع

## أولاً- المصادر

## - القرآن الكريم

أ- المخطوطات والمطبوعات الحجرية:

- ابن الخطيب السلماني، لسان الدين:

١- ريحانة الكتاب ونجعة المتاب، مخطوط بالخزانة العامة، الرباط، رقم ١٠ ج،

مسطرتة: ١٨ ستيوتر، مقاسه: ٢٢ على ١٧٥ ستيوتر، عدد الصفحات: ٣٦٨،

عدد الأوراق: ١٨٤، مكتوب بخط أندلسي جميل وواضح، دون تاريخ.

- ابن الرامي اللخمي، محمد بن إبراهيم:

٢- الإعلان في أحكام البيان، مخطوط بالخزانة العامة، الرباط، تحت رقم

٦٦٨د، عدد الأوراق ٧٢، حجمها ١٥ / ٢٠ ستم.

- ابن هلال السجلماسي، إبراهيم:

٣- اندر الثير على أجوبة أبي الحسن الصغير، نسخة مصورة بمكتبة آل سعود بالدار

البيضاء، تحت رقم 031 ح.

- الأزموري أبو عبد الله، محمد بن عبد العظيم:

٤- بهجة الناظرين وأنس العارفين ووسيلة رب العالمين في مناقب رجال أمغار

الصالحين، مخطوط بالخزانة العامة، الرباط، رقم ٨٩٦ ج، ١٤٢ صفحة، نسخ أحمد

بن علال الذويبي اللطيفي عام ١٣٠٠ هـ.

- العزفي السبتي، أحمد بن محمد بن أحمد أبو العباس:
- ٥- إثبات ما لا بد منه لمن يريد الوقوف على أحوال الدينار والدرهم والصاع والمد، مخطوط بمكتبة محمد بن عبد الهادي المنوني الخاصة، ٦٩ ورقة مكتوبة بخط أندلسي، دون تاريخ.
- الفاسي، محمد بن عبد القادر:
- ٦- ذكر مشاهير بيوتات أهل فاس في القديم، طبعة حجرية، مكتبة القرويين بفاس، رقم ط ٣٧٩ / ٨٠ تاريخ.
- الفاسي، محمد بن عبد القادر وآخرون:
- ٧- شرح منظومة العمل الفاسي، مخطوط في مجموع رقم ١٤٤٧، الخزانة العامة، الرباط.
- الكتاني، محمد بن جعفر بن إدريس:
- ٨- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس ممن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، طبعة حجرية مصورة عن تركة عبد الرحمن بن جعفر بن إدريس الكتاني كان قد اشتراها عبد الرحمن الشفشاوني، مكتبة آل سعود بالدار البيضاء تحت رقم ٠٤٦ ج مكرر.
- مجهول:
- ٩- ذكر قصة المهاجرين المسمون اليوم بالبلدين، مخطوط بالخزانة العامة، الرباط، تحت رقم ١١٩٤٢.
- ب- المطبوعات المحققة:
- ابن أبي زرع الفاسي، علي:
- ١٠- الأنيس المطرب يروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط، ١٩٧٣.

١١- الذخيرة السنوية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والنشر والوراقة، الرباط، ١٩٧٢.

- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي:

١٢- تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

- ابن الخطيب السلماي، لسان الدين:

١٣- الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد بن عبد الله عنان، نشر: مكتبة الخانجي، الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

١٤- اللوحة البدرية في الدولة النصرية، منشورات دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، ١٩٧٨.

١٥- معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق: محمد كمال شبانة، اللجنة المشتركة المغربية الإماراتية لنشر التراث الإسلامي، صندوق إحياء التراث، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.

١٦- نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تحقيق: أحمد مختار عبادي، مراجعة عبد العزيز الأهواني، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، دون تاريخ.

- ابن خلدون، عبد الرحمن:

١٧- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

١٨- المقدمة، دار القلم، الطبعة الرابعة، بيروت، لبنان، ١٩٨٤م.

- ابن رضوان المالقي، أبو القاسم يوسف:
- ١٩- الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تحقيق: علي سامي النشار، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٨٤.
- ابن غازي، محمد:
- ٢٠- الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- أحمد بن محمد المكناسي، ابن القاضي، أبو العباس:
- ٢١- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصور للطباعة والنشر والوراقة، الرباط، ١٩٧٤.
- ٢٢- ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، نشر دار التراث بالقاهرة والمكتبة العتيقة بتونس، رقم ٧ من سلسلة تراثنا الإسلامي، دون تاريخ.
- ٢٣- الفهرس المسمى بالتعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد، تحقيق: محمد الزاهي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م. - ابن مرزوق التلمساني، محمد:
- ٢٤- المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق: مارياخيسوس بيغيرا، تقديم محمود بوعباد، إصدارات المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- إسماعيل بن يوسف بن الأحمر الغرناطي الأندلسي، أبو الوليد:
- ٢٥- أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن المسمى نثر الجمان في شعر من نظمنا وإياه الزمان، تحقيق: محمد رضوان الداية، نشر مؤسسة الرسالة، مطابع دار الملاح، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

- ٢٦- روضة النسرين في دولة بني مرين، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور،  
المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
- إسماعيل بن يوسف بن الأحمر وآخرون:  
٢٧- بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور، الرباط، ١٩٧٢.
- الأنصاري الأوسمي المراكشي، محمد بن محمد بن عبد الملك أبو عبد الله:  
٢٨- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الثامن، تحقيق: محمد  
بنشريف، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، مطبعة المعارف الجديدة، القسمان  
الأول والثاني، ١٩٨٤.
- الأنصاري السبتي، محمد بن القاسم:  
٢٩- اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، تحقيق: عبد الوهاب  
بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م.
- البادسي، عبد الحق بن إسماعيل:  
٣٠- المقصد الشريف والمنزعة اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق:  
سعيد أحمد أعراب، المطبعة الملكية، الرباط، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
- البخاري الجعفي، محمد بن إسماعيل:  
٣١- الجامع الصحيح المختصر (صحيح البخاري): تحقيق، صدقي جميل  
العطار، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
- الجزنائي، علي أبو الحسن:  
٣٢- جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، المطبعة الملكية، الرباط،  
١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

- الجوهري الصيرفي، علي بن داود الخطيب:

٣٣- نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق: حسن حبشي، وزارة الثقافة المصرية، مركز تحقيق التراث، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٠.

- الحكيم، علي بن يوسف أبو الحسن:

٣٤- الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تحقيق: حسين مؤنس، دار الشروق، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

- الحميري، محمد بن عبد المنعم:

٣٥- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٤.

- الخزاعي التلمساني، علي بن محمد أبو الحسن:

٣٦- تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ، من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، وزارة الأوقاف المصرية، القاهرة، ١٤٠١هـ / ١٩٨٠م.

- السخاوي المصري الشافعي، محمد بن عبد الرحمن:

٣٧- التبر المسبوك في ذيل السلوك، منقول عن نسخة الشيخ محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد الشلبي الحنفي، نشر: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، مكتبة إس إل لطباعة الأوفست، دون تاريخ.

- القلقشندي أبو العباس، أحمد بن علي:

٣٨- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، نسخة مصورة عن المطبعة الأميرية ومذيلة بتصويبات واستدراكات وفهارس تفصيلية مع دراسة وإفية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، دون تاريخ.

- المقري التلمساني، أبو العباس أحمد بن محمد:

٣٩- أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق: محمد السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي المغربية الإماراتية، صندوق إحياء التراث، الطبعة الثانية، نشر مطبعة فضالة، المغرب، ١٣٩٨هـ- ١٩٦٤م.

٤٠- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م.

٤١- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.  
- المنجور، أحمد:

٤٢- الفهرس، تحقيق: محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، سلسلة الفهارس، الرباط، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.  
- الناصري السلاوي، أحمد:

٤٣- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق: جعفر ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤.  
- النميري بن الحاج، محمد بن عبد الله:

٤٤- فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، تحقيق: محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ١٩٩٠.

- النويري شهاب الدين، أحمد بن عبد الوهاب:

٤٥- نهاية الأرب في فنون الأدب، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدراقات وفهارس جامعة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مطابع كوستا تسوماس وشركاؤه، القاهرة، دون تاريخ.

- الوزان الفاسي، الحسن بن محمد المعروف بليون الإفريقي:

٤٦- وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

- الوزاني الفاسي، المهدي:

٤٧- تحفة أكياس الناس بشرح عمليات فاس، تقديم وإعداد: مولاي هاشم العلوي الفاسمي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

- الوتريسي أبو العباس، أحمد بن يحيى:

٤٨- المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب، تخريج جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

## \* ثانيًا: المراجع

- أ- المراجع باللغة العربية:
- ابن شقرون، محمد بن أحمد:
- ١- مظاهر الثقافة المغربية، دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م.
- ابن منصور، عبد الوهاب:
- ٢- أعلام المغرب العربي، المطبعة الملكية، الرباط، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- أبو سديرة، السيد طه:
- ٣- الحرف والصناعات في مصر الإسلامية منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١.
- بن عبد الله، عبد العزيز:
- ٤- العلوم الكونية والتجريبية في المغرب (كيف تطورت خلال ألف عام)، دار نشر المعرفة، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠.
- ٥- معطيات الحضارة المغربية، دار نشر المعرفة مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٢، جزءان.
- بوطالب، عبد الهادي:
- ٦- وزير غرناطة لسان الدين بن الخطيب السلماي، دار الكتاب، الدار البيضاء، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠.
- بوفيل:
- ٧- تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، ترجمه إلى العربية: الهادي أبو لقمة ومحمد عزيز، منشورات جامعة فاريونس، بنغازي، ١٩٨٨.

- التازي، عبد الهادي:

- ٨- التاريخ الدبلوماسي للمغرب منذ أقدم العصور إلى اليوم، ١٤٠٦-  
١٤٠٩هـ/١٩٨٦-١٩٨٩م، عشر مجلدات، مطابع فضالة، المحمدية.  
٩- جامع القرويين، المسجد الجامعة بمدينة فاس، موسوعة لتاريخها المعماري،  
دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٣.

- الحريري، محمد عيسى:

- ١٠- تاريخ المغرب والأندلس في العصر المريني، دار القلم، الكويت، الطبعة  
الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- حسن إبراهيم، علي:

- ١١- السلطان أبو الحسن علي المريني، دار الثقافة، الدار البيضاء، سلسلة  
خالدون في تاريخ المغرب.

- الدباغ، محمد بن عبد العزيز:

- ١٢- من أعلام الفكر والأدب في العصر المريني، مطبعة النجاح الجديدة، الدار  
البيضاء، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- عبادي، أحمد مختار:

- ١٣- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة،  
الإسكندرية، مصر، دون تاريخ.

- علماء الحملة الفرنسية:

- ١٤- وصف مصر، ترجمة: زهير الشايب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٧٩.

- العلوي القاسمي، مولاي هاشم:

- ٢٢- مقدمة تحقيق كتاب التقاط الدرر للقادري، دار الآفاق الجديدة، بيروت،  
الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

- العمري، عبد العزيز بن إبراهيم:

١٥- الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ، مركز التراث لدول الخليج العربي، الطبعة الأولى، ١٩٨٥.

- لوتورنو، روجي:

١٦- فاس في عصر بني مرين، ترجمة: نقولا زيادة، نشر مكتبة لبنان بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بنيويورك، بيروت ١٩٦٧.

١٧- فاس قبل الحماية، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

- مارمول، كريخال:

١٨- إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية مجموعة من الأساتذة، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار نشر المعرفة، الرباط ١٤٠٨-١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨-١٩٨٩م.

- مطلوب، أحمد:

١٩- معجم الملابس في لسان العرب، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٥.

- المتوني، محمد:

٢٠- الفقيه المتوني، أبحاث مختارة، منشورات وزارة الثقافة، مطبعة المناهل، المغرب، ٢٠٠٠.

٢١- تاريخ الوراقة المغربية، صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة بحوث ودراسات، الطبعة الأولى، ١٩٩١.

٢٢- ورقات عن حضارة المرينيين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة بحوث ودراسات، ٢٠، ١٩٩٦.

## \* الرسائل الجامعية:

- الديش، عبد الوهاب:

٢٣- فاس المرينية (٦٧٤-٧٥٦هـ/١٢٧٦-١٣٥٨م) المجال والمجتمع وعلاقتها بالدولة، دبلوم الدراسات العليا، إشراف: مولاي هاشم العلوي القاسمي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، ١٤٠٨-١٤٠٩هـ/١٩٨٨-١٩٨٩م.

- السلامي، رشيد:

٢٤- وثائق مرينية، مراسلات، معاهدات، ظهائر، دراسة وتحقيق، دبلوم الدراسات العليا، إشراف: محمد زبير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط ١٩٨٩.

- الشنشاط، علي حسين:

٢٥- تاريخ الجراحة في الطب العربي (من القرن ٣ إلى ٧هـ/٩ إلى ١٣م)، رسالة دكتوراه الدولة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

- العيساوي، فاطمة:

٢٦- جوانب من علاقة المخزن بالحرف (١٨٢٢-١٨٩٤)، رسالة دبلوم الدراسات العليا، إشراف: إبراهيم بوطالب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

- المليح، السعيد:

٢٧- المدارس المرينية ودورها الفكري في المغرب، نموذج مدارس مدينة فاس، دبلوم الدراسات العليا، إشراف: مولاي هاشم العلوي القاسمي وعادل نجم عبو، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، ١٤٠٨-١٤٠٩هـ/١٩٨٨-١٩٨٩م.

\* الدوريات:

- أباطة، إبراهيم دسوقي:

٢٨- النظام الضريبي المغربي بين الماضي والحاضر، مجلة المناهل، وزارة الثقافة، الرباط، العدد الثاني، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

- ابن سودة، عبد السلام:

٢٩- أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، مجلة دعوة الحق، ع١-٢، ١٩٧١.

- أسكان، الحسين:

٣٠- الإنفاق على التعليم بمدينة فاس بين القرن ٦ و٨هـ، أشغال الندوة المنظمة من ٢٤ إلى ٢٦ نونبر ١٩٨٨، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ٢، ابن امسيك، الدار البيضاء «المدينة في تاريخ المغرب العربي».

- بوشعراء، مصطفى:

٣١- الحصار بمدينة سلا، آدابها وأدواتها ورجالها ودورها في المجتمع حتى منتصف القرن ٢٠، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ع٢٤، ٢٠٠١.

- التازي، عبد الهادي:

٣٢- اكتشاف موقع الزاوية المتوكلية بظاهر مدينة فاس، مجلة آفاق للثقافة والتراث، ع٢٢-٢٣، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، إدارة البحث العلمي والنشاط الثقافي بمركز الماجد للثقافة والتراث، دبي، الإمارات العربية المتحدة.

- التازي سعود، عبد الوهاب:

٣٣- المعرفة الطبية التقليدية بجامعة القرويين، أشغال ندوة «جامعة القرويين وآفاق إشعاعها الديني والثقافي»، نظمها بيت آل الحبابي، الرباط، منشورات جامعة القرويين، ١٩٩٦.

- الجمل، شوقي عطا الله:

٣٤- أضواء على حياة الحسن بن محمد الوزان وإنتاجه الفكري والمؤثرات التي تأثر بها، مجلة المناهل، وزارة الثقافة، الرباط، ع٢، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.

- حركات، إبراهيم:

٣٥- الحياة الاجتماعية في عصر بني مرين، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، عدد ٥-٦، ١٩٧٩.

٣٦- الحياة الاقتصادية في العصر المريني، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، عدد ٣-٤، ١٩٧٨.

- الدباغ، محمد بن عبد العزيز:

٣٧- جامعة القرويين وأثرها في حفظ التراث الإسلامي، أشغال ندوة «جامعة القرويين وآفاق إشعاعها الديني والثقافي» نظمها بيت آل الحبابي، الرباط، منشورات جامعة القرويين، ١٩٩٦. - الرباط، ناصر:

٣٨- مفهوم العمارة في الكتابات الإسلامية في القرون الوسطى، مجلة عالم الفكر، العمارة، مجلد ٣٤، ٢٠٠٥، الكويت.

- زمامة، عبد القادر:

٣٩- أسماء الحرف المعروفة بفاس، مجلة اللسان العربي، ع٤، ربيع الثاني ١٣٨٦، غشت ١٩٦٦، المكتب الدائم لتنسيق التعريب التابع لجامعة الدول العربية، الرباط.

٤٠- من مساجد فاس، مسجد اللبارين، مجلة البحث العلمي، ع٤١، ١٩٩٣،

- الشريف، محمد:

٤١- الأسطول السبتي بين الجهاد والتجارة (ق ١٢-١٤م)، مجلة البحث العلمي، عدد ٤٥، ١٩٩٨.

- العلوي، عبد العزيز:

٤٢- العلاقات التجارية والثقافية بين المغرب المريني وإمبراطورية مالي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس ع٥، ١٩٨٩.

٤٣- علاقة التجارة الصحراوية بالتجارة البحرية في المغرب المريني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، عين الشق، أشغال ندوة، ج٢.

٤٤- فاس والتجارة الصحراوية قبل الحملة السعدية على إمبراطورية سنغاي، فاس وإفريقيا: العلاقات الاقتصادية والثقافية والروحية، أعمال الندوة الدولية التي نظمها معهد الدراسات الإفريقية وكلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس سايس، أكتوبر ١٩٩٣، فاس، سلسلة ندوات ومحاضرات ٣، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٦.

- المليح، السعيد:

٤٥- موقف فقهاء فاس من إنشاء المدارس المرينية، مجلة مكناسة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة المولى إسماعيل، مكناس، عدد ١٢، ١٩٩٩.

- الموساوي، العجلوي:

٤٦- حرف السك النقدي في العهدين المريني والسعدي، مجلة أمل، ع٧، ١٩٩٦.

- نشاط، مصطفى:

٤٧- التغذية والأزمة بالمغرب في العصر المريني، مجلة أمل، ع١٧، ١٩٩٩، الدار البيضاء.

٤٨- ملاحظات حول المعاهدات التجارية المغربية في العصر المريني الأول، أشغال ندوة «التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب»، ج٢، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، فبراير ١٩٨٩.

- الكتيبة، سعاد:

٤٩- البنية الاقتصادية لطوائف يهود المغرب الأقصى في العصر الوسيط، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بني ملال، ع٣، ٢٠٠١.

- الهلالي، محمد ياسر:

٥٠- نظرة المجتمع للمرأة في مغرب القرنين ٨ و٩هـ / ١٤ و١٥م، مساهمة في تاريخ الذهنيات، مجلة أمل، ع١٣-١٤.

- هيل، دونالد، ر:

٥١- العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية، ترجمة أحمد فؤاد باشا، عالم المعرفة، ع٣٠٥، ٢٠٠٤، الكويت.

- وزيري، يحيى:

٥٢- العمارة الإسلامية والبيئة، عالم المعرفة، ع٣٠٤، ٢٠٠٤، الكويت.

\* الموسوعات:

- مجموعة يشرف عليها العربي الصقلي بالتعاون مع نور أوركانيزيون:

٥٣- مذكرات من التراث المغربي، الجزء الثالث، مطابع الأطلس بالرباط وألتاميرا بمدريد، ١٩٨٤-١٩٨٥.

٥٤- معلمة المغرب، المجلدات: ٢-٣-٥-٦-٧-٨-١٢-١٣-١٥-

١٨، مطابع سلا، سنوات

## ب- المراجع باللغة الأجنبية:

**Aouni, Lhaj moussa**

1- L'épigraphie et la ville, le cas de Fès à l'époque mérinide, II Congreso internacional, La ciada en al-andalous y el Maghreb (Algeciras, 26-28 novembre 1999), granada, Espana.

**Bel, Alfred:**

2- Inscription arabe de Fès, J. a (1917-1919) Paris, 1919.

**: - Benhadda Abderrahim, Benkiran Laïla**

3- Nourriture, Fès Médiévale, entre légende et histoire, un carrefour de l'Orient à l'apogée d'un rêve, série mémoires, éditions autrement, n° 13, Paris, 1992.

**Bernoussi, Seltani:**

4- Les serviteurs de la cité, Fès médiévale entre légende et histoire, un carrefour de l'orient à l'épogée d'un rêve, éditions autrement, série mémoires, n°13, Paris, 1992.

**Dufourcq, Charles Emmanuel:**

5-L'Espagne catalane et le Maghreb aux 13<sup>ème</sup> et 14<sup>ème</sup> siècle, Paris, 1966.

**El alaoui Abdelaziz :**

6- l'impact social du commerce transsaharien sur le maroc le cas des juifs, revue amal n° 18 , 1999 , casablanca

**Gambazard Catherine – Amahan:**

7- Le décor sur bois dans l'architecture de Fès, époques almoravide, almohade, et début mérinide, centre national de la recherche scientifique, Paris, 1989.

**Khaneboubi, Ahmed:**

8- Les premiers sultans mérinides (1269-1331), histoire politique et sociale, collection : histoire et perspectives méditerranéens, éditions l'Harmattan, Paris, 1987.

**:Lapanne-****Joinville. J**

9- Les métiers à tisser de Fès, Hespéris, Tome 27, 1949

**Massignon, Louis:**

10-Enquête sur les corporations d'artisans et de commerçants 1923-1924, d'après les réponses au questionnaire transmis par circulaire du 15 novembre 1923 sous le timbre de la direction des affaires indiquées et du service des renseignements, 1924.

11- Le Maroc dans les premières années au 16<sup>ème</sup> siècle, tableau géographique d'après Léon L'africain, mémoires de la société historique algérienne, Alger, 1906.

**Mercédes Garcia- Arenal:**

12- The revolution of Fas in 869/1465 and the deat of sultan abd-Al Haqq Al-Marini, Reprinted from the bultin of the school of oriental and african studies, university of London, vol. XII part 1, 1978, pp : 42-66.

**vilches, Josémiguelpuerta:**

13-Art nasside et mérinide, L'art islamique occidental à l'aube de la renaissance européenne, l'art de la méditerranéenne (1250-1490), traduction et publication par le centre national du livre, éditions du rouergue / Actes sud, 2003, Milano et Madrid.



## فهرس

٣	كلمة شكر وتقدير.....
٤	الإهداء.....
٥	المقدمة.....
١٧	الباب الأول: الحرف والصناعات المرتبطة بالدولة.....
٢١	الفصل الأول: الحرف والصناعات المخزنية.....
٢٤	المبحث الأول: الصناعات العسكرية.....
٢٦	المطلب الأول: صناعة الأسلحة.....
٣٦	المطلب الثاني: الأزياء والموسيقى العسكرية.....
٤٨	المطلب الثالث: العمارة العسكرية.....
٥٧	المبحث الثاني: سك النقود.....
٥٨	المطلب الأول: الإجراءات التنظيمية.....
٦٤	المطلب الثاني: أعمال الإداريين والسكاكين.....
٧٨	المبحث الثالث: الأشغال العامة والأعمال العلمية والفنية.....
٧٩	المطلب الأول: الأشغال العامة.....
٩٣	المطلب الثاني: الأعمال العلمية والفنية.....
١٠٩	الفصل الثاني: الحرف والصناعات الوقفية.....
١١٢	المبحث الأول: أشغال البناء والزخرفة.....
١١٣	المطلب الأول: البناء.....
١٣٠	المطلب الثاني: الزخرفة.....

- ١٤٢.....المبحث الثاني: التجهيزات والخدمات
- ١٤٣.....المطلب الأول: التجهيزات
- ١٥٢.....المطلب الثاني: الخدمات
- ١٥٩.....المبحث الثالث: صناعة آلات التوقيت
- ١٦٠.....المطلب الأول: ساعة ابن الحباك (٦٨٥هـ/١٢٨٦م)
- ١٦٢.....المطلب الثاني: ساعة الصنهاجي - ابن العربي (٧١٧هـ/١٣١٨م - ٧٤٧هـ/١٣٤٨م)
- ١٦٤.....المطلب الثالث: ساعة التلمساني (٧٥٨هـ/١٣٥٧م)
- ١٦٨.....المطلب الرابع: ساعة اللجائي (٧٦٣هـ/١٣٦٢م)
- ١٧٢.....المطلب الخامس: آلات التوقيت الأخرى
- ١٧٥.....الباب الثاني: الحرف والصناعات الخاصة
- ١٧٩.....الفصل الأول: الحرف والصناعات الضرورية البسيطة
- ١٨١.....الفصل الأول: الحرف والصناعات الضرورية البسيطة
- ١٨٣.....المبحث الأول: الحرف والصناعات الفلاحية
- ١٩٥.....المبحث الثاني: حرف الغذاء
- ٢٠٧.....المبحث الثالث: صناعات النسيج والملابس
- ٢١٥.....المبحث الرابع: حرف الخدمات
- ٢٢٦.....المبحث الخامس: حرف البناء والفخار وتحويل الخشب والجلد
- ٢٢٧.....المطلب الأول: حرف البناء والفخار
- ٢٣٦.....المطلب الثاني: تحويل الخشب والجلد
- ٢٤٥.....الفصل الثاني: الحرف والصناعات الكمالية المركبة

- ٢٤٨.....المبحث الأول: زخرفة المباني والفخار
- ٢٤٩.....المطلب الأول: زخرفة المباني
- ٢٥٧.....المطلب الثاني: صناعة الخزف والزجاج
- ٢٦٠.....المبحث الثاني: صناعات النسيج والملبوسات وتحويل الجلود
- ٢٦١.....المطلب الأول: صناعات النسيج والملبوسات
- ٢٧٠.....المطلب الثاني: تحويل الجلود
- ٢٧٩.....المبحث الثالث: صناعة المعادن والأسلحة
- ٢٨٠.....المطلب الأول: صناعة المعادن
- ٢٩٢.....المطلب الثاني: صناعة الأسلحة
- ٣٠٧.....المبحث الرابع: الصناعات الشريفة
- ٣٠٨.....المطلب الأول: حرف الوراقة
- ٣١٥.....المطلب الثاني: حرف التطيب
- ٣١٩.....المطلب الثالث: الحرف الشريفة الأخرى
- ٣٢٥.....الباب الثالث: الأدوار الاقتصادية والاجتماعية للحرف والصنائع
- ٣٢٩.....الفصل الأول: الأدوار الاقتصادية للحرف والصنائع
- ٣٣٢.....المبحث الأول: الدور المالي للحرف والصنائع
- ٣٣٣.....المطلب الأول: نظام الصرف
- ٣٣٨.....المطلب الثاني: الأداء الجبائي
- ٣٤٩.....المبحث الثاني: الدوران الفلاحي والتجاري
- ٣٥١.....المطلب الأول: جلب المواد الفلاحية الأولية

- المطلب الثاني: تسويق المتوج الحرفي..... ٣٦٩
- الفصل الثاني: الأدوار الاجتماعية للحرف والصناعات..... ٣٩٩
- المبحث الأول: نظام الطوائف الحرفية وبعده الاجتماعي..... ٤٠٢
- المطلب الأول: نظام الطوائف الحرفية..... ٤٠٣
- المطلب الثاني: البعد الاجتماعي للطوائف الحرفية..... ٤١٨
- المبحث الثاني: خدمات الحرفيين العامة للمجتمع..... ٤٣٣
- الخاتمة..... ٤٦١
- لائحة المصادر والمراجع..... ٤٦٧



الصورة رقم ١ : جامع القرويين : الصحن والصومعة



الصورة رقم ٢ : جامع القرويين : المحراب



الصورة رقم ٣ : باب الشريعة (باب المحروق)



الصورة رقم ٤ : مدخل خزانة جامع القرويين



الصورة رقم ٥ : الاسطرلاب او دار التوقيت التي احتضنت إحدى الساعات المائية



الصورة رقم ٦ : مدرسة العطارين: الصحن وإحدى الواجهات الداخلية



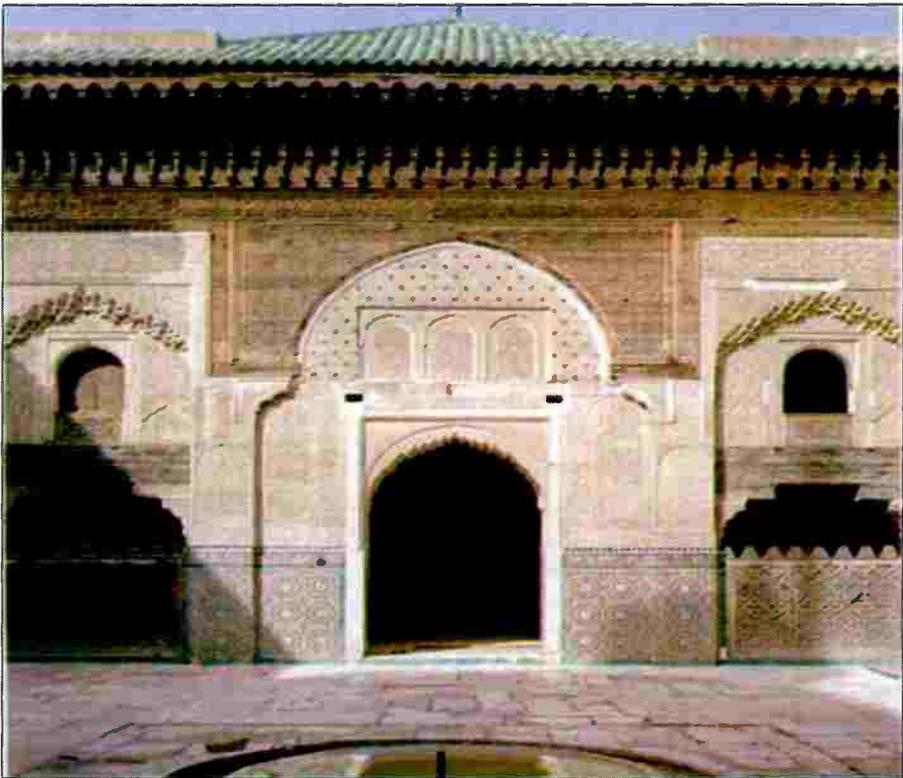
الصورة رقم ٧ : مدرسة الصهريج : منظر داخلي



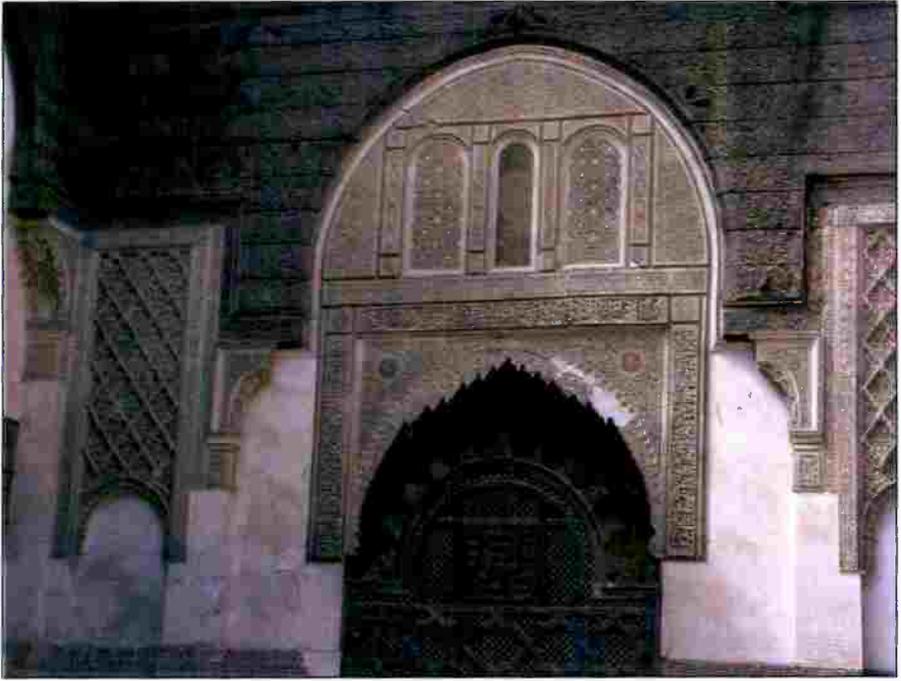
الصورة رقم ٨ : جامع الشرفاء الذي يحتضن الضريح الإدريسي



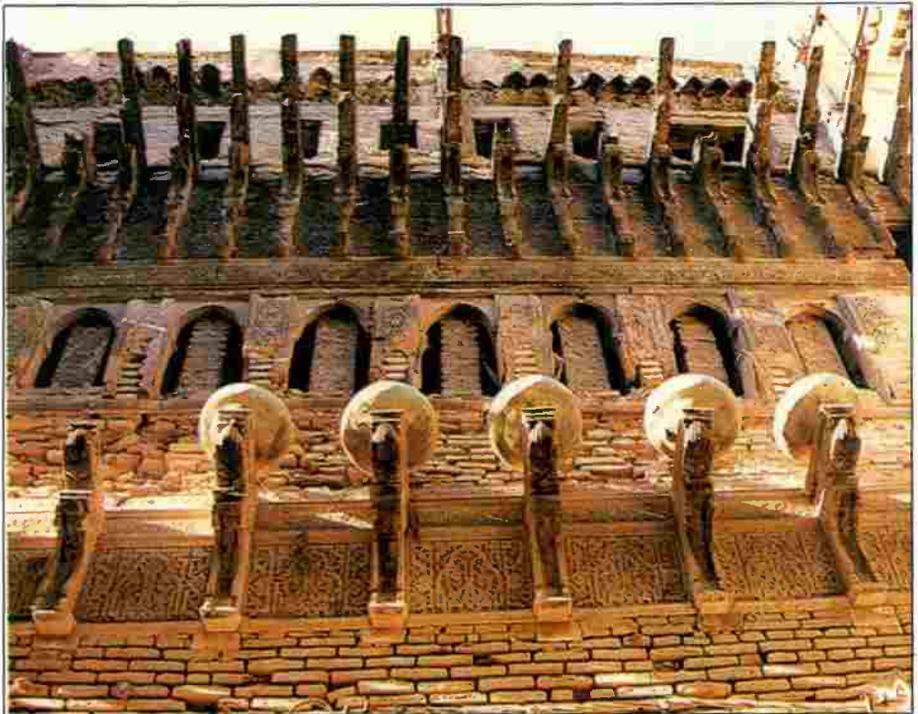
الصورة رقم ٩ : مدرسة السبعين : المدخل الخارجى من اول يسار الصورة



الصورة رقم ١٠ : مدرسة أبى عنان: الصحن وإحدى الواجهات الداخلية



الصورة رقم ١١ : مدرسة أبي عنان (البوعنانية): واجهة الباب الرئيسي الداخلية



الصورة رقم ١٢: الساعة المائية بالبوعنانية



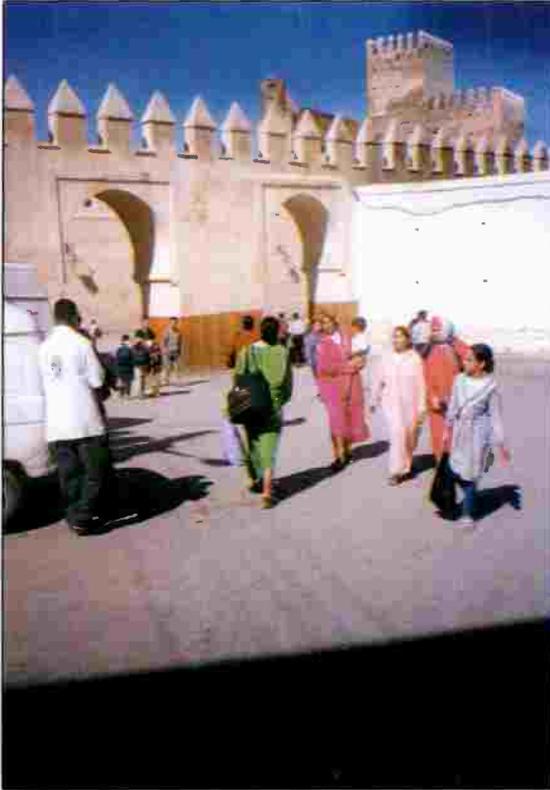
الصورة رقم ١٣ : الساعة المائية بالبوعناتية : مشروع إصلاحها



الصورة رقم ١٤ : المدرسة المصباحية : الزخرفة على الجبس



الصورة رقم ١٥ : فندق القطنين



الصورة رقم ١٦: باب السبع بفاس الجديد



الصورة رقم ١٧ : الموزع المائي بباب بوجلود



الصورة رقم ١٨ : ناعورة (دولاب) لازالت مثبتة بالبستان المحادي لفاس الجديد (جنان السبيل)





الصورة رقم ١: وادي فاس الفاصل بين العدوتين : اشتغال الحرفيين على مياهه



الصورة رقم ٢: دار الدبغ شوارة إحدى مراحل دبغ الجلد



الصورة رقم ٣ : دار الدبغ عين أصليتين : المجاير



الصورة رقم ٤ : خزارة الجلد



الصورة رقم ٥ : سوق التجارين



الصورة رقم ٦ : أحد الخراطين لمادة الخشب بالطلعة الكبرى



الصورة رقم ٧ : الخشب: ازدواجية استعماله في البناء والزخرفة



الصورة رقم ٨ : سوق النجارين : عمل الخشب



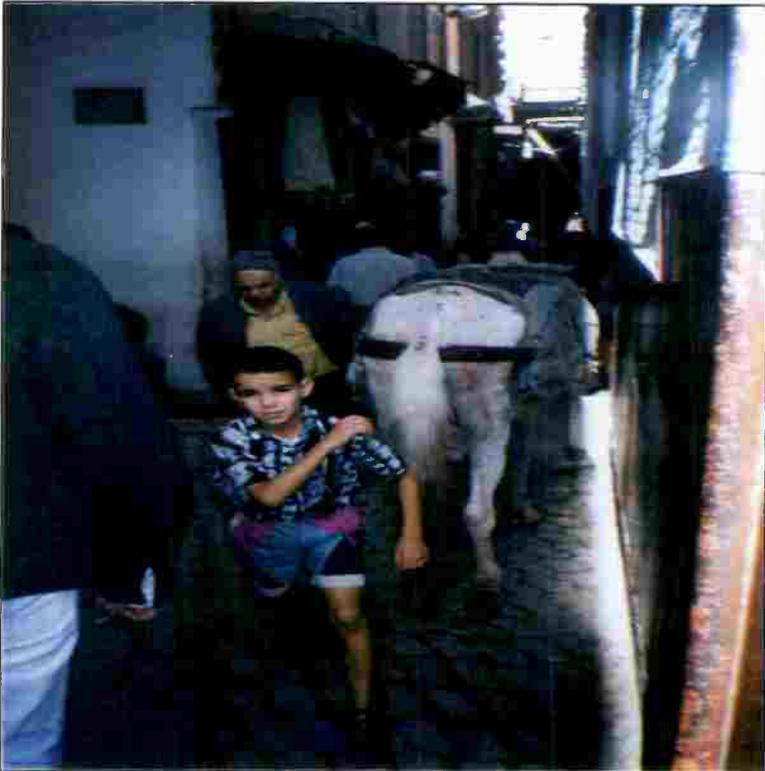
الصورة رقم ٩ : النجارة: الزخرفة على الخشب



الصورة رقم ١٠ : صناعة جلدية تزويق الجلد وتذهيبه



الصورة رقم ١١: خرازة الجلد: المعلم والصناعي ومتعلمان



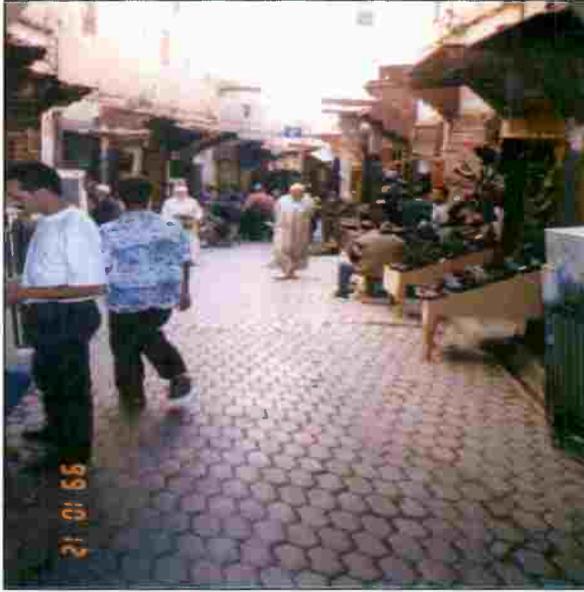
الصورة رقم ١٢ : مكان جلسة الحمالين بالديوان



الصورة رقم ١٣: فندق بانطلعة الكبرى تزع الصوف من الجلد (اللباطة)



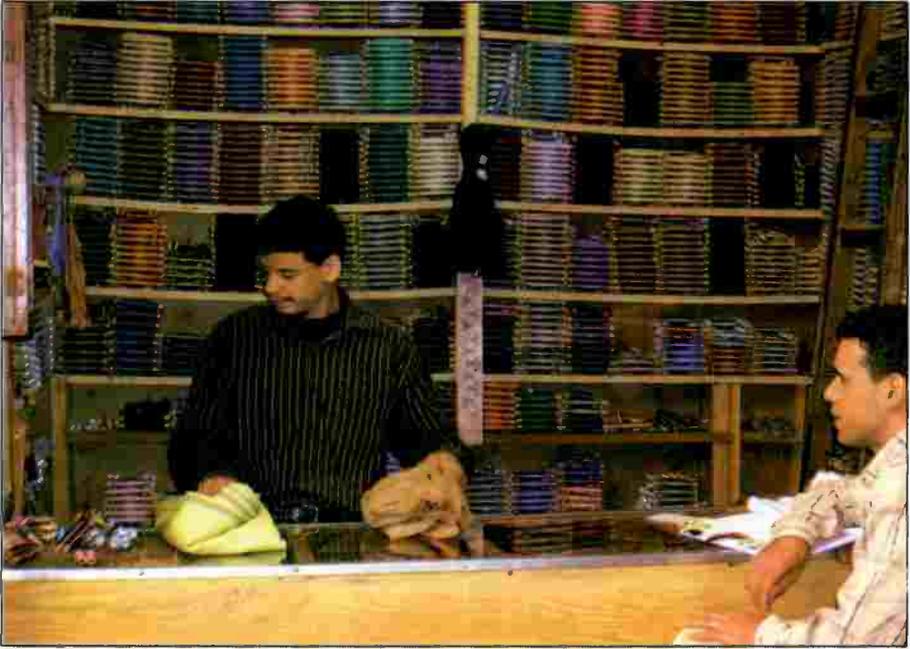
الصورة رقم ١٤: نقل الجمال للجلد المدبوغ في اتجاه سوق بيعه



الصورة رقم ١٥: سوق الإسكافيين (الطرفين)



الصورة رقم ١٦: حرفة الخياطة



الصورة رقم ١٧: بيع خيوط الحرير المصبوغة



الصورة رقم ١٨ : حرفة الحياكة



الصورة رقم ١٩: ساحة ودكاكين الصفايين



الصورة رقم ١٩: حرفيان يشتغلان في تصنيع النحاس



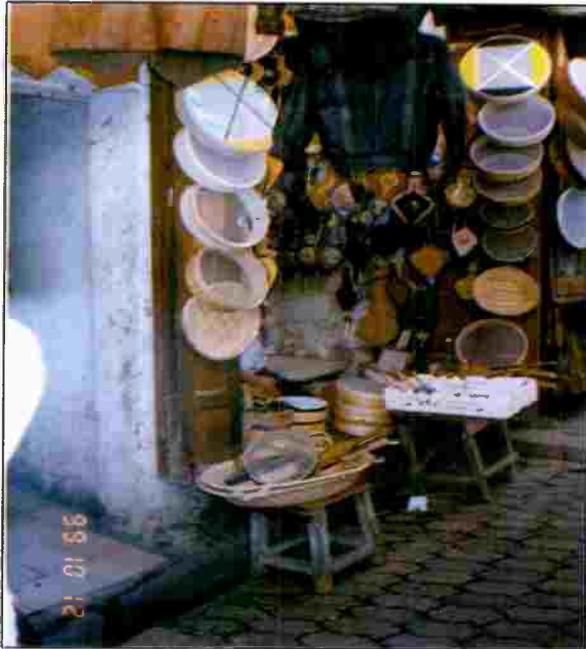
الصورة رقم ٢١ : حرفة الحداده



الصورة رقم ٢٢ : عرض القفاف والشطاطيب وغيرها للبيع بأحد الدكاكين في المدينة



الصورة رقم ٢٣ : مصنوعات الفخارين بأحد دكاكين المدينة



الصورة رقم ٢٤ : بيع الغرابيل برأس التيالين



الصورة رقم ٢٥ : سوق الجوطية قرب المشابين



الصورة رقم ٢٦ : سوق المركطال لبيع الأثواب البالية ونشاط حرفة الدلالة فيه